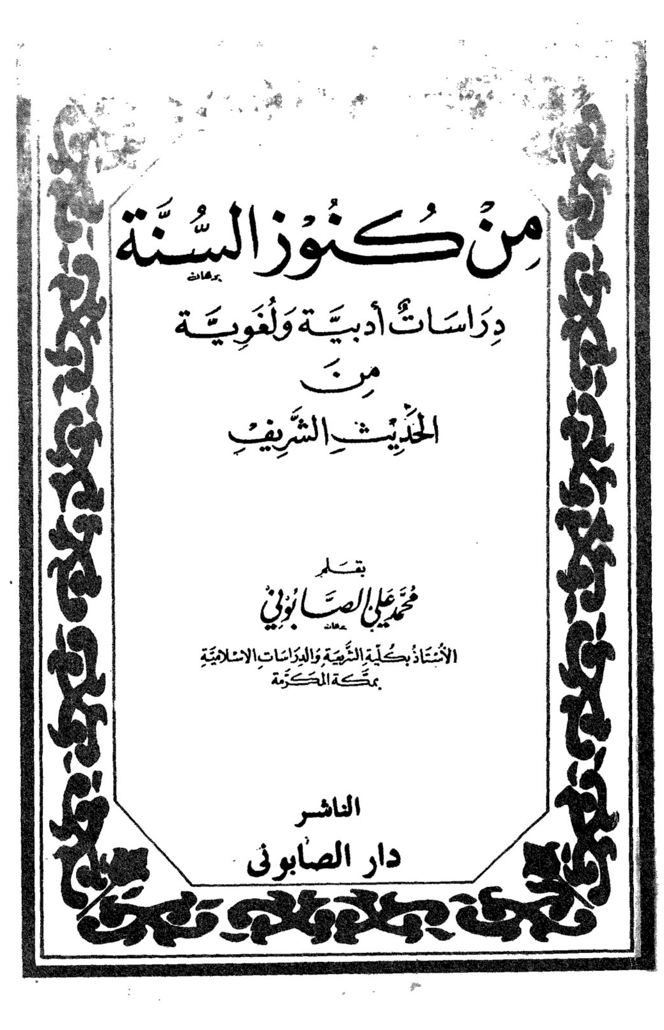


مِنْ كُنُوزِ السُّنَّة

دِرَاسَاتٌ أدبِيَّة ولُغَوِيَّة
مِنَ
الحَدِيثِ الشَّرِيفِ

بقلم
مُحَمَّد علي الصَّابُونِي
الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بمكة المكرمة

الناشر
دار الصابوني

اهـــــــداء 2005

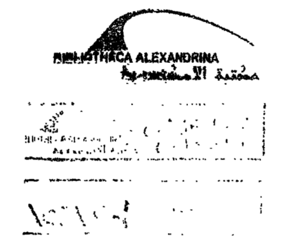
أ.د.عباس عبد الحميد
جامعة الإسكندرية

مِنْ كُنُوزِ السُّنَّة

دِرَاسَاتٌ أدبيَّة ولُغَوِيَّة
مِنَ
الحَدِيثِ الشَّرِيفِ

بقلم
محمّد علي الصابوني
الأستاذ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية
بمكة المكرمة

الناشر
دار الصابونى



تقديم

بقلم سيادة الاستاذ عبد الله البغدادي
عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة

من خلال التجارب الطويلة ، التي عاشتها هذه الكلية الرائدة ، للتعليم الجامعي في المملكة ، ومن منطلقها الهادف البنّاء ، جاءت مناهجها الدراسية ، نابعةً من روح الشريعة الغراء ، كنظام متكامل للحياة الصالحة ، غايتها وأهدافها الكبرى إعداد الدارسين والطلاب الجامعيين ، لحمل رسالة الاسلام الخالدة ونقلها بأمانةٍ ووعيٍ ، وفهمٍ واخلاص ، إلى شباب الجيل الصاعد ، ونقل هذا التراث من جيل إلى جيل ، ومن هنا جاءت الدراسة بهذه الكلية متكاملة متماسكة ، شاملة للحياة الانسانية المثلى ، ولمعطياتِ الاسلام كنظام اجتماعي واقتصادي وتربوي ، فيه كل ما في الحيـاة من خير ، لافظاً كل عناصر الشر وبذور القلق ، زارعاً آمال الاستقرار والأمن في نفوس بني البشر أجمعين .

ولقد جاءت موادُّ الدراسة في هذه الكليّة الناشئة ، محققة لتلك الأهداف ، ومهيئة جيلاً منطلقاً إلى مسيرة الخير ، سائراً إلى ركاب الأمل الخالد .

وغنيٌّ عن البيان أن نذكر (معجزاتِ البيان) من القرآن الكريم ، أو الحديث الشريف ، وأن نبيّن أسرار البلاغة ومحكم الكلام فيها . فإنّ الصورَ البيانيّة والمعجزاتِ الكلامية مما أفحم فصحاء ربيعة ومضر حتى عجزوا على « أن يأتوا بمثلهِ ولوْ كانَ بعضُهمْ لبعضٍ ظهيراً » .

إنني أقول على سبيل المثال : لو أخذنا صفحة واحدة من الصفحات الناصعات ولوحة من اللوحات البارعات ، لصورةٍ كلاميةٍ رُسمت بالبيان المبين ، وجاءت على لسان محمد الأمين ، زينتُها بيان ثري مزج الله وحده ألوانه .. إنّ مثل هذه الصورة لا يستطيع مبدع ، أو فنّان ـ مهما أوتي من روعة وسحر ، وألواح ودهان ـ أن يرسم بريشته صورة مماثلة أو حتى مقاربـــة ، وسوف يرتد عاجزاً كما عجز سادة الكلام أن يأتوا بمثله .

وبعد : فهذه مادة « الدراسات الأدبية واللغويّة من الحديث الشريف » دُرِست بكلية الشريعـة ، مع الدراسات الأدبية واللغويّة من القرآن الكريم ، ليتذوّق طلابنا طعم الأدب الخالد ، وحلاوة الحِكَم النوابغ في جوامع كَلِم الرسول ﷺ ففي ظلال هذه الأحاديث النبوية ، ومن خلال النظرة في هذا الكتاب القيّم ، يجد القارىء صوراً أدبيّةً أخّاذة ، وحِكَماً بلاغية رائعة ، بعد أن ترتسم في ذهنه صورة جميلة مشرقة لهدي سيّد المرسلين وأحاديثه الغرر ، التي هي من جوامع كَلِمه صلوات الله وسلامه عليه .. وفي ذلك خير الدارسين أن يجدوا في ظلال القرآن الكريم ، وأحاديث الرسول الأمين الشاهدَ اللغوي ، والنصّ الأدبي المعجز ، والبلاغة المحكمة من أن يتلمسوها في بيتٍ شعريّ ، أو حكمة قديمة ، وبذلك يجد الدارس المتعة المشتركة ، والفائدة المزدوجة والطريقة التعليمية المثلى .

وأخيراً فقد كانت محاولة طيبة وجهداً مشكوراً مأجوراً من أخي الاستاذ العلامة « الشيخ محمد المبارك » ان يجمع كتابه « دراسات أدبية من القرآن » ويخرجها في ثوب رائع لطلاب كلية الشريعة في مكة المكرمة وقبلها في دمشق ، ثم ـ هذا الجهد المشكور ، من الشيخ الجليل الوقور « محمد على الصابوني » فيخرج كتابه « دراسات أدبية ولغوية » من الحديث الشريف ويجمع المحاضرات التي ألقاها على طلاب قسم اللغة العربية لكلية الشريعة بمكة في كتابه هذا الذي لا اشك في أنّه سيأتي صورة رائعة مشرقة ، تنطق ببلاغة الحديث النبوي ، وحسن تصويره ،

وجمال لفظه ، وعذوبة معناه ، ورقة تعبيره ، وصدق الله العظيم « وما ينطقُ عن الهَوَى ، إنْ هُوَ الا وحيٌ يُوحَى »

فتحيةً من الأعماق ، لهذا الجهد الرائع ، وشكراً لشيخنا الجليل الذي أحسن الظنَّ بي فجاء إليّ – وأنا اصطاف في لبنان الاشم – ليطلب مني أن أقدم كتابه الذي جمعه – كما يقول – تعميماً للفائدة ونشراً العلم والثقافة الاسلامية ..

إنني أيها الأخ الكريم قد عرفتك منذ أقبلتَ للتدريس بكلية الشريعة بمكة تسهم مع غيرك ، وتنشر رسالة ربك مؤمناً بطبيعة عملك « معلّم جيل » يأخذ منك التدريس صفوة مجهودك ، ويستولي على شغاف قلبك ، ويأخذ برقة احساسك هكذا عرفتك .. تسكب لهذا العمل النبيل غاية ما عندك قطرات من الحياة الصالحة ، ودفقات من المجهود الطيب المأجور ، لتكون هذه الكلية كما أراد لها المسؤولون أن تكون ، وفي مقدمتهم رائد المسيرة الإسلامية الخالدة ، وكما أقبل عليها الأساتذة الكرام أداةً لهذه الرسالة الخالدة والمهمة الانسانية المثلى ..

فبارك الله لك عملك وسدّد خطاك ، ووفقنا وإياك لنكون جميعاً رائداً ، ووزيراً ، واستاذاً ، في خدمة ديننا الذي هو عصمة أمرنا لمناط أملنا شباب الجيل لخير امة أخرجت للناس تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، ولله عاقبة الأمور .

المخلص

عبد الله عبد المجيد بغدادي

عميد كلية الشريعة والدراسات الاسلامية بمكة المكرمة

في ٤/٦/١٣٩٠ هـ الموافق ٦/٨/١٩٧٠ م

« اللّهُمَّ ارْحمْ خُلَفَائِي ، قَالُوا : وَمَنْ خُلَفَاؤُكَ يا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ : الّذِينَ يأْتُونَ مِنْ بَعْدي ، يَرْوُوْنَ أحادِيثي وَيُعَلِّمُونَهَا النَّاسَ » .

« حديث شريف »

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

حمداً لله ، وصلاة وسلاماً على نبيّه الكريم ، الذي أعطي جوامع الكلم ، ونوابغ الحِكَمَ ، ودانت له الفصاحة والبلاغة ، فكان له منها الحظُّ الأوفى ، والنصيب الأكمل حتى أعجز بلغــاء ربيعة ومضر ، وعلى آله وأصحابه مصابيح الدجى ، وشموس العلم والعرفان ، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين .

وبعد :

فهذه مقتطفات من أحاديث سيّد المرسلين ، انتقيتهــا من كتب الصحاح لطلبة كلية الشريعة والدراسات الاسلامية (قسم اللغة العربية) بمكة المكرمة ، وقد أبرزت ما فيها من مواطن الجمال ، والروعة والابداع ، وبينت ما فيها من وجوه البلاغة ، وأسرار البيان ، وقد رأيت أن أجمعها في كتاب تعميماً للفائدة ونشراً للعلم والثقافة .

والله أسأل أن ينفع بها أبناءنا الطلبة ، وأن يجعلها خالصة لوجهه الكريم ، إنه سميع مجيب الدعاء ، وصلى الله على سيدنا محمـــد وآله وصحبه اجمعين .

غرة جمادى الأولى سنة ١٣٩٠ هـ

محمد علي الصابوني
المدرس بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية
بمكة المكرمة

« الايمان فطرة في الانسان »

الحديث الأول :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ : كلُّ مَوْلُودٍ يولَدُ على الفِطْرَةِ ، فَأبواهُ يُهَوِّدَانه ، أو يُنَصِّرَانِه ، أو يُمَجِّسانِه ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ ، هَلْ تُحسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعاء ؟ ثُمَّ يقولُ أبو هُرَيْرَةَ واقرَأُوا إنْ شِئْتُمْ :

« فِطْرَةَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لاَ تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ، ذَلِكَ الدِّينُ القَيِّمُ ولكنَّ أكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمون » .

« رواه البخاري »

الابحاث العربية :

كلُّ : لفظ من ألفاظ العموم ، يفيد الاستغراق والشمول ، مثل قوله تعالى (كلُّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ) وكقول الشاعر :

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشّرر

مولود : أي مخلوق وهو الجنين الذي خرج من بطن الأم سواء كان ذكراً أو انثى .

قال الشاعر العربي في التذكير بالمنشأ والمصير :

ولدتك أمك يا ابن آدم باكيـاً والناسُ حولك يضحكون سروراً
فاعمل لنفسك أن تكون إذا بكوا في يوم موتك ضاحكاً مسروراً

الفطرة : المراد بها الدين الحنيف مشتق من فَطَر بمعنى خلق ومنه قوله تعالى :

« وما لي لا أعبُدُ الـَّذِي فَطَرني وإليه تُرْجَعون ؟ » . وقول النبي ﷺ للبراء بن عازب بعد أن علَّمه دعاء النوم : « فان متَّ مت على الفطرة » أي انك إذا قلت هـذا الدعاء ثم متَّ من ليلتك تموت على الايمان وعلى الدين الحنيف .

يهوّدانه : أي يجعلانه يهودياً ، وهو مشتق من هاد بمعنى تاب قـال تعالى (واكتبْ لنا في هذهِ الدُّنيا حَسنةً وفي الآخرة إنا هُدْنا اليك ..) أي تبنا ورجعنا ، والمراد من التعبـير (يهوّدانه) أن الأبوين يخرجانه من الاسلام الفطري الى اليهودية الضالة .

ينصّرانه : أي يجعلانه نصرانياً ، والنصارى هم أتباع عيسى عليـه السلام وهم يسمون أنفسهم مسيحيين والقرآن الكريم سمَّاهم نصارى ، وهم أهل الانجيل وقد نسخت شريعتهم كما نسخت شريعة اليهود بعد بعثة محمد ﷺ فأصبح دينهم باطلاً غير مقبول عند الله قال تعالى [ومنْ يَبْتَغِ غيرَ الإسلامِ ديناً فلن يُقبلَ منهُ وهو في الآخرةِ من الخاسرينَ] .

يمجّسانه : أي يجعلانه مجوسياً ، والمجوس هم عبّاد النار أو عبدة الشمس والقمر وغيرهما من المعبودات الكونية ، والمجوس موجودون في زماننا بكثرة وهم يعبدون الكون أو يعبدون الشجر والبقر ، وهم مشركون ليس لهم كتاب سماوي .

تنتج : مضارع مبني للمجهول بمعنى تولد وتُخلَق وهو مشتق من الرباعي (أنتج) لا من الثلاثي .

البهيمة : اسم للدابة التي لا تعقل ، وقد يشبَّه بها الرجل الأحمق ناقص العقل والتفكير .

كما قال الشاعر العربي :

« ابنيَّ إنَّ من الرجال بهيمةً : في صورةِ الرجل السميع المبصر »
« فَطِنٌ بكل مصيبةٍ في ماله : فإذا أصيب بدينه لم يشعر »

جمعاء : أي كاملة الخلقة ، ليس فيها نقص أو تشويه .

هل تحسون : أي هل تشعرون بنقص فيها أو هل ترون وتجدون فيها نقصاً ، وهو مشتق من (أحسَّ) الرباعي قال تعالى : [فلمَّا أَحسُّوا بأسَنا إذا همْ منها يَرْكُضون] .

جدعاء : أي مقطوعة الأنف أو الأذن مشتقة من جدع بمعنى قطع ومنه قوله ﷺ : (من قتل عبده قتلناه ، ومن جدع عبده جدعناه) وفي الأمثال (لأمرٍ ما جدع قصير أنفه).

الأبحاث البلاغية :

١ – قوله (يولد على الفطرة) كناية عن النشأة الطيبة ، والعقيدة السليمة ، التي هي عقيدة التوحيد الخالص .

٢ – قوله (فأبواه) المراد به الأب والأم ، فهو من باب (التغليب) مثل (العمرين) أي أبي بكر وعمر ، و (القمرين) أي الشمس والقمر . و (الأسودين) أي التمر والماء .

٣ – قوله (يهوّدانه ، ينصّرانه ، يمجّسانه) : استعمال هذه الأفعال في صيغة المضارع تفيد التجدّد والثبوت .

٤ – قوله (كما تنتج البهيمة) فيه تشبيه لطيف بديع يسمى (التشبيه التمثيلي) .. فقد مثّل صلى الله عليه وسلم للمولود الذي يلد على الإيمان ، بالشاة التي تلد كاملة الأعضاء والخلقة ، ثمّ يعتريها النقص من البشر أنفسهم ، فيقطعون أذنها أو أنفها ويشوهونها ، كذلك الطفل يولد موحداً مؤمناً ، ثم تفسد عقيدته وتتلوث بالتربية السيئة والبيئة الفاسدة .

٥ – قوله (جمعاء وجدعاء) بينهما جناس لطيف ، وهو من المحسنّات البديعية ، وهو جناس ناقص لتغير بعض الحروف بين الكلمتين مثل (الخيل ، والخير) في قوله صلى الله عليه وسلم : (الخيلُ معقودٌ في نواصِيها الخيرُ إلى يوم القيامةِ) . ولا يخفي ما للجناس من وقع في الحسّ ، وتأثير في النفس .

الأبحاث النحوية :

كلُّ : مبتدأ والخبر جملة « يولد على الفطرة » والتقدير : كل انسان مولود على الفطرة .

على الفطرة : الجار والمجرور متعلق بـ (يولد) .

يهوّدانه : جملة يهوّدانه أو ينصّرانه خبر المبتدأ (أبواه) .

البهيمة : نائب فاعل (تُنْتَج) .

بهيمة : حال منصوبة بالفتحة الظاهرة .

جمعاءَ : صفة البهيمة وصفة المنصوب منصوب .

من جدعاء : من حرف جر زائد ، و (جدعاء) مفعول به لتحسون .

وتزاد (مِنْ) في بعض المواطن : ١ - بعد النفي مثل : (ما جاءنا من بشير) ٢ - بعد الاستفهام مثل : هل من خالق غير الله يرزقكم ؟ ويشترط ان يأتي بعدها نكرة قال ابن مالك :

(وزيد في نفي وشبهه فجرّ : نكرة كالباغٍ من مَفَرّ) .

إن شئتم : جملة اعتراضية ، وجملة (فطرة الله) في محل نصب مفعول به لـ (اقرءوا) .

التعريف براوي الحديث :

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل (ابو هريرة) رضي الله عنه ، وهذه كنيته كنّاه بها النبي ﷺ واسمه الحقيقي (عبدُ الرحمن بنُ صَخْر الدَّوْسِي) وهو من كبار الصحابة الذين حفظوا للأمة الاسلامية هذا الركن العظيم من الشريعة المطهّرة ألا وهي (السنّة النبوية) التي نقلها الينا أمثال هؤلاء الحفاظ الثقات من صحابة رسول الله ﷺ ومن جاء بعدهم من المحدّثين الاخيار ، ولقد كان ابو هريرة من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ لأنه كان يلازمه ملازمة تامة حتى شهد له الرسول الكريم بالحرص على الحديث ، ودعا له بثبات الحفظ فلم يسمع شيئاً من رسول الله ﷺ إلا حفظه ببركة دعائه صلوات الله عليه ، أسلم في السنة السابعة من الهجرة عام خيبر وتوفى بالمدينة المنورة سنة ٥٧ هجرية ودفن بالبقيع وقبره معروف حتى الآن رضي الله عنه وأرضاه .

الشرح الأدبي :

في هذا الحديث الشريف نفحة منْ نفحات الجمـال ، وإشراقة من اشراقات النبوة ، فقـد وضّح عليه الصلاة والسلام ببيانه العذب ، وأسلوبه اللطيف الرصين ، ناحية علمية هامة ، يعنى بها علماء الاجتماع ، ويهتم بها الفلاسفة والمفكرون وهي : هل الدين فطرة في الإنسان ؟ وهل الخير أصل فيه أم الشر ؟ وهل يكون الطفل عند ولادته مزوداً بطاقة روحية تلهمه السداد والرشاد ؟؟ فالنبي الكريم – صلوات الله وسلامه عليه – وضع أصلاً من أصول التربية الخلقية الكريمة ، يعتبر نبراساً مضيئاً لكل مربٍّ ينشد السعادة ، ولكل باحث ومفكر يطلب المعرفة والحقيقة . وهذا الأصل الذي أرشد اليه الرسول الكريم هو : ان الخير في الانسان أصيل ، وأن الشر فيه عارض ، وأنه يخلق على الفطرة السليمة ، والصفاء والنقاء ، وأن استعداده للخير كامل ، ولكنّ المجتمع هو الذي يفسده ، والبيئة التي يعيش فيها هي التي تلوّث فطرته ، وتفسد خلقه ودينه ، ولا سيّما ابواه فهما سبب هلاكه ودماره ، وسبب فساده أو صلاحه ، وسبب استقامته أو اعوجاجه . فالطفل حين يولد يكون عضواً صالحاً في المجتمع ، ولو خلّي بين هذا الطفل وفطرته ، لنشأ على الايمان ، وعاش على الخير والصلاح ، ولكن المجتمع الفاسد ، والبيئة المنحرفة – وأقرب الناس فيها الابوان – هي التي تفسد نفسية الطفل ، وتخرّب عقليته وفطرته ، فتقلبه من الهدى إلى الضلال ، ومن السعادة إلى الشقاوة ، ومن الإيمان إلى الكفر ، ولولا الأسرة الفاسدة ، ولولا المجتمع المنحرف ، ولولا الأبوان الضالان ، لبقي الانسان على فطرته ، طيب النفس ، سليم العقيدة ، مندفعاً نحو حياة الفضيلة والكمال !.

فانظر – هداك الله – إلى التمثيل الرائع الذي مثّله عليه الصلاة والسلام حيث صوّر الطفل (بالشاة) التي يخلقها الله تبارك وتعالى كاملة الخلق ، جميلة الشكل والصورة ، ولكنّ الناس هم الذين يشوهون جمالهـا ،

فيقطعون أنفها أو أذنها ، ويعيشون بها حتى تصبح ناقصة الخلق مشوهة التصوير ؟!

أفليست هـذه حقيقة يدركها كل شخص ، وهي أن الخلق الكامل هو خلق الله ، وأن النقص إنما يأتي من فعل الإنسان ؟!

فهذا الحديث الشريف ما هو إلا تصوير دقيق (لحقيقة الإنسان) وسمو به وارتقاع ، من حضيض الشّر القاتم ، إلى أفق المعرفة المشرق ، وضياء الحق المنير ، فالناس في جميع العصور والدهور ، يولدون على الفطرة ، وعلى الاستعداد التام الكامل للخير والصلاح ، وصدق الله :

(فطرةَ اللهِ التي فطر النّاسَ عليها لا تَبْديلَ لخلقِ اللهِ).وفي الحديث الشريف ردٌ صريح واضح ، على أولئك الذين ينكرون الفطرة ، كما هي (الفكرة الشيوعية الخبيثة) التي تقول : ان الإنسان يخلق خالياً من كل شيء يسمى بالدوافع ، وإننا نستطيع أن نصنعه كما نشاء .. فهم يعتبرونه كالآلة الصماء ، أو كالدابة العجماء ، ولا عجب في أن ينكروا الدين أو الفطرة ، فقد أنكروا من قبل وجود الله ، وصدق الله حيث يقول :

[أولئكَ كالأنعامِ بَلْ هم أضلُّ ، أولئكَ هم الغَافِلونَ] .

***

« السعداء في الاخرة »

الحديث الثاني :

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

سَبْعَةٌ يظلُّهم اللهُ في ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظلَّ إلاَّ ظِلُّهُ :

- إمَامٌ عادلٌ .
- وَشابٌ نشَأ في عِبَادَةِ رَبِّهِ .
- وَرَجلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ في المسَاجِدِ .
- وَرَجُلاَنِ تَحَابّا في اللهِ ، اجْتَمَعا عَلَيْهِ وَتفَرَّقَا عَلَيْهِ .
- وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذَاتُ منصِبٍ وَجمالٍ فقالَ : إنّي أخافُ اللهَ .
- وَرَجلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأخفَاهَا حتّى لا تَعْلَم شِمَالُهُ مَا تُنفِقُ يَمِينُهُ .
- وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خالِياً فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ .

« متفق عليه »

الابحاث العربية :

يظلهم : المراد بالظل هنا هو الظل الحقيقي حيث يكون هؤلاء

السعداء تحت ظل العرش يوم القيامة بقرينة قوله (يوم لا ظلّ إلا ظلّه) فلا يمسّهم حر الشمس ولا وهجها ، وقيل المراد بالظلّ : الكرامةُ والحماية فهو (كناية) عن الرعاية والحماية والأول أرجح .

في ظـله : إضافة الظل إلى الله اضافة تشريف وهو على حـــذف مضاف أي في ظل عرشه وانمـــا اضافه اليه تكريماً وتشريفاً كما يقال للمسجد (بيتُ الله) .

إمام عادل : المراد بالامام الحاكم أو السطان ويشمل أيضاً القاضي وكل من له ولاية على غيره والعادل الذي يحكم بالعدل بين الناس فلا يميل مع هوى ولا يرتشي بمال .

معلق في المساجد: أي محبٌ لها حباً شديداً فهو ينتظر الصلاة بعد الصلاة ويصليها بالجماعة ولا يؤخرها عن وقتها كما قال تعالى في هذا الصنف (والذين هم على صلاتهم يحافظون) .

تحابّا في الله : أي لأجله لا لغرضٍ دنيويٍ ، وتحابّا أصله تحاببا أدغم الأول في الثاني والتفاعل عبارة عن معنى يقتضي المشاركة أي أن كلاًّ منهما أحب صاحبه في الله .

اجتمعا عليه : الضمير يرجع إلى الحب في الله والمعنى اجتمعا على ذلك الحبّ وتفرقا عليه فهو اشارة إلى أن الحب تمكن من قلب الرجلين تمام التمكن من أجل الله تعالى لا لغرضٍ

دنيوي وفي الحديث « من أحبَّ لله ، وأبغض لله ، ومنع لله فقد استكمل الإيمان » .

ذات منصب : أي امرأة صاحبة جاهٍ من أصلٍ أو شرفٍ أو سلطان أو مال ، وفي الحديث الشريف (تُنكَحُ المرأة لأربع : لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها ، فاظفر بذات الدين تَرِبَتْ يداك) . ومعنى تَرِبَتْ يداكَ : أي إن لم تفعل هلكتَ .

أخاف الله : الخوف من الله هو الرهبة من عذابه وهو دليل الايمان قال تعالى « وَخافُونِ إن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » .

شماله ما تنفق يمينه : الشمال واليمين اليدان اللتان بجانبي الانسان وضرب المثل بها للتوضيح فلو فرضنا ان الشمال رجلٌ مستيقظ وتصدق الإنسان بيمينه لما شعر ذلك الرجل الذي عن يساره .

ذَكرَ الله : من الذِكر بكسر الذال فهو باللسان أو من التذكر بالفكر والقلب أي تذكر عظمة الله وجلاله فبكى من خشيته سبحانه فيكون المراد بالذكر الذكر القلبي .

خالياً : أي بعيداً عن الناس ليكون أقرب إلى الاخلاص وأبعد عن الرياء .

ففاضت عيناه : أي سالت منها الدموع كأنها فيض لغزارتها وذلك دليل على الخوف من الله وقوة اليقين به سبحانه وفي الحديث « عينان لا تمسها النار ، عين بكت من خشية الله » .

الأبحاث النحوية :

« سبعة » مبتدأ وخبره جملة يظلهم الله ، وجوز الابتداء بها مع أنها نكرة لكونها على معنى الإضافة أي سبعة أشخاص من الناس .

« إمام عادل » : امام خبر لمبتدأ محذوف تقديره أحدهم إمـام ، وعادل صفة لإمام « وشاب نشأ » وشاب خبر لمبتدأ محذوف أيضـا تقديره والثاني شاب وجملة (نشأ في عبادة الله) صفة لها . لأن القاعدة « أنّ الجمل من بعد النكرات صفاتٌ ومن بعد المعارف أحوال » ويكون التقدير وشاب ناشيء « قلبه معلق » قلبه مبتدأ ثاني وخبره معلق في المساجد ، والمبتدأ الثاني وخبره في محل رفع صفة لرجل « حتى لا تعلَمَ » بالنصب فتكون حتى للغاية وبالرفع فتكون تفريعية نحـو : مرض زيد حتى لا يرجونه « خالياً » حال من فاعل ذكر أي ذكر الله حال كونـه وحيداً فريداً ليس معه أحد .

ترجمة راوي الحديث :

تقدمت ترجمة الراوي في الحديث الأول فارجع إليه في صفحة (١١)

الابحاث البلاغية :

١ – قوله (معلّق في المساجد) فيه كناية لطيفة ، فقد كنّى عن ملازمته للمسجد ، وتردّده عليه ، ومحافظته على الصلاة بالجماعة ، بتعلق قلبه في المساجد ، وهو (كناية عن صفة) .

٢ – قوله (لا تعلم شماله ما تنفق يمينه) فيه استعارة لطيفة تسمى (الاستعارة المكنية) فقد شبّه اليد اليمنى بإنسان ، واليد اليسرى بإنسان آخر ، وحذف المشبّه به وهو الشخص الأول ، ورمز إليه بشيء من لوازمه وهي اليد على طريق (الاستعارة المكنيّة) .

٣ – قوله (دعته امرأة) كناية عن المراودة عن النفس من أجل عمل الفاحشة ، وهي (كناية عن صفة) .

٤ – قوله (ففاضت عيناه) مجاز مرسل على حذف مضاف أي فاضت دموع عينيه لأن العين لا تفيض إنّما يفيض الدمع فيها ، وذلك علامة الإيمان . قال الشاعر :

« ذاق طعم الإيمان من ذكر اللهَ ففاضت عيناه بالعبرات »

الشرح الادبي :

في هذا الحديث النبوي الشريف ، تقسيم لطيف ، وبيان شاف مجيد ، لأولئك السعداء الأبرار ، الذين نالوا الكرامة الالهية ، والسعادة الأبدية ، في دار الخلد والنعيم ، بسبب ما قدّموا في الدنيا من صالح الأعمال ، واتصفوا به من جميل الخصال .

فالرسول الكريم – عليه أفضل الصلاة والتسليم – يحدثنا عن شمول العناية الإلهية والرحمة الربانية ، تحت ظل عرش الله الكريم ، لكل من اتصف بواحدة منْ تلك الخصال الحميدة ، التي يحبها الله ورسوله ، وقد أوضحها عليه الصلاة والسلام في أجمل عرض ، وأقوى بيان ، ليلهب نفوس المؤمنين ويحرك فيهم روح الجد والاخلاص والعمل الصالح ، ليسيروا على النهج القويم ، ويقتدوا بالأخيار الاطهار من عباد الله الصالحين . فهو يدعو أولاً إلى مراعاة العدل ، ومجانبة الظلم لكل من تولى شأناً من شئون المسلمين ، أو ولي أمراً من امورهم ، سواء كانت الولاية عامة أم خاصة ، فالعدل شريعة الله ، والله تعالى يمقت الظلم ويكرهه ، أياً كان مصدره ، وصدق الله حيث يقول (يا داود إنّا جعَلنَاكَ خَليفَةً في الأرْضِ ، فَاحكُمْ بَينَ النّاسِ بالحَقّ ، ولا تَتّبِعْ الهَوى فَيُضِلّكَ عَنْ سَبيلِ اللهِ) . وهو يدعو ثانياً الشباب إلى الاقبال على طاعة الله وعبادته ، منذ بدء حياتهم ، ونعومة أظفارهم ، ليكونو رجال المستقبل ، وليحققوا (الجيل المثالي) الذي ينشده الاسلام

ولقد أثنى القرآن على فتية أهل الكهف بقوله : [إنَّهُم فِتيَةٌ آمنوا بِرَبِّهِم وَزِدْنَاهُم هدى] فالشباب موطن الرجاء والأمل ، وهم عدة المستقبل .

وفي الخصلة الثالثة : إشادة بفضل ذلك الرجل الصالح ، الذي عمر الايمان قلبه ، وتعلقت جوارحه وقلبه بذكر الله عن طريقة المحافظة على الصلاة التي هي عماد الدين ، لِتَتشرب القلوب حب الاجتماع والألفة ، وتتوحد صفوف الأمة عن طريق الاجتماع في بيوت الله ، ولقد أثنى الله عزّ وجل على هذا الصنف من الناس بقوله : (في بيوتٍ أذِنَ اللهُ أنْ تُرفعَ ويُذكَرَ فِيها اسْمُهُ ، يُسبِّحُ لهُ فيها بالغُدُوِّ والآصالِ رجال ..) .

وفي الخصلة الرابعة : يدعو الرسولِ الكريم إلى (الحبّ في الله) ابتغاءَ وجهه الكريم ، لا لغرض دنيوي ، أو كسبٍ ماديّ ، أو مصلحة دنيئة .. وهل الدين إلا حبٌ في الله ، واجتماعٌ على مرضاته ، والتقاء على دعوة الحقّ التي جاء بها رسول الله ﷺ ، ليكون الحب طهراً وصفاء ، وسمواً ونقاءً !!

وفي الخصلة الخامسة : إظهار لأسمى ما تصورته البشرية من طهارةٍ وسموٍّ وصفاء ، إنه طهارة الوجدان ، وصفاء الإيمان ، الذي يعصم صاحبه من الانزلاق في مزالق الرذيلة ، فهاهي الفتنة والإغراء تتزيّا بصورة واقعية في صورة (امرأة جميلة) ذاتِ حسبٍ ونسبٍ ، تدعو الرجل إلى نفسها ، وتراوده على عمل الفاحشة بها ، ولكنه تَجنَّبَ كل ذلك خوفاً من الله .

وفي الخصلة السادسة : نرى روعة البيان في أجمل صورة يصورها الرسول عليه الصلاة والسلام . صورة ذلك الرجل المحسن الذي تصدّق

بصدقة خفيّة عن أعين الناس ، ابتغاء مرضاة الله ، فأخفى صدقته حتى عن أقرب ما يتصل به ألا وهي شماله ، حتى لو تصورنا أن يمينه تصدّقت بشيء لما شعرت يده اليسرى فيما أنفق في سبيل الله .

وأخيراً يختم عليه الصلاة والسلام حديثه الشريف بفضل البكاء من خشية الله . فلله ما أروع هدي الرسول وما أجمل حكمته ومغزاه !! إنّه الهدي النبويّ ، والحكمةُ المحمّديّة .

***

« بين يدي الساعة »

الحديث الثالث :

عَنْ أبي موسى الأشعريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رَسُولَ الله ﷺ قال :

[إنَّ بينَ يَدَيْ السَّاعَةِ فِتَناً كَقِطَعِ اللَّيْلِ المُظْلِمِ ، يُصْبِحُ الرَّجلُ فيهـا مُؤْمِناً ويُمْسي كافِراً ويُمْسي مُؤْمِناً ويُصْبِحُ كَافِراً ، يَبِيعُ دِينَه بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنيا قلِيلٍ] .

« رواه التِرْمِذِيُّ »

الأبحاث العربية :

بين يدي الساعة : أي قرب قيام الساعة وأمامها ، والمراد بالساعة (القيامة) وسميت بذلك لأنها تظهرُ في أدنى لحظة من الزمن ، وهي مما اختص الله سبحانه وتعالى بعلمه قال تعالى [يسألك النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إنما عِلْمُهَا عِندَ الله] .

فتنـاً : جمع فتنة ، والمراد بالفتن هنا (المصائب والنكبات)والبلايا التي تنزل على الناس في آخر الزمان فتصيبهم في أنفسهم ،

أو في أموالهم ، أو في أولادهم ، أو في عقائدهم ، قال الشاعر العربي :

« إنّ لله عبــادا فُطـنا طلّقوا الدنيا وخافوا الفتنا »
« نظروا فيها فلمّا علموا أنها ليست لحيٍّ سكنا »
« جعلوها لجّة واتخذوا صالح الأعمال فيها سفنا »

كقِطَع الليل : جمع قطعةٍ وهي الجزء من الشيء والمراد أن الفتن تأتي متلاحقة متتالية كما يأتي الليل متلاحق الاجزاء وكلما تقدّم الليل اشتدّ الظلام .

يصبح ويمسي : معنى أصبح دخل في الصّباح وأمسى دخل في المساء قال تعالى : « فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون » وفي الحديث الشريف : « أيَعْجِز أحدكم ان يكون مثلَ أبي ضمضم ؟ قالوا ومن هو أبو ضمضم يا رسول الله ؟ قال رجل ممن كان قبلكم كان كلما أصبح أو أمسى قال اللهم إني قد جعلت عِرْضي لمن شتمني » أي عفوت عنه وسامحته .

كافراً : أي مرتداً عن الدين جاحداً بآيات الله ، مشتق من الكفر بمعنى الجحود والانكار قال تعالى : [أفرأيت الذي كَفَرَ بِآياتِنَا وقالَ لأوتَيَنّ مَالاً وولداً] الآية

بعرضٍ من الدنيا: المراد بالْعَرَض الشيءُ الحقير من حطام الدنيا ونكّر اللفظ ليشير الى الحقارة والقلة أي بشيءٍ قليل وحقير من الدنيا وسمّي عرضاً لأنه يزول ولا يدوم .

الابحاث البلاغية :

١ – في قوله ﷺ [بين يدى الساعة] استعارة مكنية وطريق اجراء

هذه الاستعارة أن نقول شبّه الساعة برجلٍ وحذف المشبّه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو اليد على سبيل الاستعارة المكنية بجامع القرب بين كلٍ منهما فاليد قريبة من الرجل والفتن قريبة من الساعة .

٢ – في قوله [فتناً كقطع الليـــل المظلم] تشبيه يسمى (مرسلاً مفصلاً) لأن أداة التشبيه قد ذكرت فيه وهي (الكاف) فهو (مرسل) من هذا الوجه و (مفصّل) لأن وجه الشبه وهو الظلمة قد ذكر فيه ، وقد تمت فيه الأركان .

٣ – في قوله [يُصبح ويُمسي] وفي قوله [مؤمناً وكافراً] تقابل جميل وهذا ما يسمى في علم البلاغة (الطباق) مثل قوله تعالى [وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود] والطباق هو أن يجمع المتكلم بـــين لفظين متقابلين وقد يكون الطباق في الفعل كما في الأول (يصبح ويمسي) وقد يكون في الاسم كما في قوله (مؤمناً وكافراً) وقد يكون في الحرف مثل قوله تعالى [ولَهُنّ مثلُ الّذي عليهنّ بالمعروفِ] .

٤ – قوله [يبيع دينه بعرضٍ من الدنيا] جملة خبرية يقصد منها (التحذير والتخويف) .

الابحاث النحوية :

جملة (بين يدي الساعة) خبر إنّ مقدّم و (فتناً) اسمها مؤخر ، وجملة (كقطع الليل المظلم) صفة لفتناً لأن الجمل بعد النكرات صفات و (يصبح الرجل مؤمناً) الرجلُ اسم أصبح التي هي من أخوات كان و (مؤمناً) خبرها وكذلك في (يمسي) لها اسم وخبر لأنها أيضاً من أخوات كان . (يبيع دينه بعرض .. الخ) هذه الجملة كالتعليل لما سبقها فكأن سائلاً يقول لم يَحدثُ ذلك ؟ فقال يبيع دينه بعرض من الدنيا .

ترجمة راوي الحديث :

راوي الحديث الصحابي الجليل (ابو موسى الأشعري) رضي الله عنه ، واسمه (عبد الله بن قيس) وهو من قبيلة الأشعريين الذين أثنى عليهم النبي ﷺ بقوله [إنّ الأشعريين إذا أرملوا في الغزو أو قلّ طعام عيالهم بالمدينة ، جمعوا ما كان عندهم ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم منّي وأنا منهم].

أسلم رضي الله عنه ورجع إلى بلاد قومه ، ثم قدم المدينة مع الأشعريين وهم نحو خمسين رجلاً في سفينةٍ فألقتهم الريح إلى النجاشي بأرض الحبشة ، فوافقوا خروج (جعفر بن أبي طالب) وأصحابه منها فأتوا معهم وقدمت السفينتان معاً على النبي ﷺ بعد فتح خيبر ، واستعمله النبي ﷺ على بعض بلدان اليمن ، ثم استعمله (عمر) على البصرة فافتتح الأهواز وأصبهان ، وفي خلافة عثمان استعمله على الكوفة . وكان رضي الله عنه حسن الصوت بالقرآن سمعه النبي ﷺ ذات ليلةٍ وهو يقرأ فقال له : (لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود) وكان عمر إذا رآه قال له : (ذكّرنا ربنا يا أبا موسى) فيقرأ عنده القرآن ، وأبو موسى هو الذي فقّه أهل البصرة وأقرأهم القرآن . قال (ابن المديني) [قضاة الأمة أربعة : عمر ، وعلي ، وأبو موسى ، وزيد بن ثابت] مات سنة ٤٢ هـ وهو ابن ثلاث وستين سنة رحمه الله تعالى .

الشرح الأدبي :

في هذا الحديث الشريف صفحة من صفحات الجمال الفنيّ في روعة العرض ، وسمو التصوير والتشبيه .. فإن الانسان ليحس بالبلاء الذي ينزل ، والفتن التي تحيط به ، وكأنها ملموسة محسوسة ، تلاحقه كما يلاحق الظلام غَسَقَ الليل ، وتلازمه كما يلازم الهلع قلب الجبان .. وأي انسان

لا يفزع وهو يرى ذلك المنظر المخيف ، وتلك الصورة الرهيبة ، التي تملك عليه شعوره وإحساسه ؟!

صورة الفتن تتلاحق كتلاحق الجيوش ، يطارد بعضها بعضاً ، وتشتد هذه الفتن كاشتداد الظلام .. يبدأ رويداً رويداً ، ثم لا يزال يشتدُّ ، ويشتدُّ ، حتى يعمّ أرجاء الكون ، ويصبح ظلاماً مطبقاً دامساً ، لا يرى فيه الانسان ما حوله « إذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً ، فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ » !!

وإن الناظر ليلمس خطر هـذه الفتن العصيبة ، والمحن المريرة في الانقلاب العظيم ، الذي تحدثه في نفوس البشر .. إذ ينقلب الانسان – ما بين عشية وضحاها – من الايمان الى الكفر ، ويعود من الهدى إلى الضلال ، وينتقل من النور الى الظلام ، فيصاب بأعظـم نكسة ، وأفدح مصيبة !! وهل هنالك من مصيبة تعدل المصيبة في الدين والايمان ؟ وهل هنالك من خسارة توازي هذه الخسارة ؟!

انها « المادية الطاغية » التي حدثنا عنها الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى .. إنها فتنة المادة ، التي تجرف في تيارها أصحاب النفوس المريضة ، الذين عاشوا (لبطونهم) و (شهواتهم) ممن آثروا الحياة الدنيا على الآخرة ، فخدعوا ببريقها ، واغتروا بحطامها ، حتى باعوا أقدس شيء لديهم ألا وهو (الايمان) بأتفه شيء ألا وهو (الحطام) [اولئكَ الذينَ اشتَرَوُا الضَّلالةَ بالهُدَى فما ربحتْ تجارتُهمْ ومَا كانُوا مُهتَدينَ] !! إنه (طغيان المادة) الذي يطغى على القيم الروحية ، والخلقية ، والدينية ، فيجعل الفرد لا يفكّر إلا في المادة ، ولا يعيش الا من أجل المادة .. فهل بعد هذا الانتكاس من انتكاس ؟؟ [رَبَّنَا لا تزِغْ قلوبَنَا بَعْدَ إذْ هدَيْتَنَا وَهبْ لنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحمَةً إنَّكَ انتَ الوَهَّابُ].

* * *

«الحرية الشخصية»

الحديث الرابع :

عَنْ النُّعْمانِ بن بشيرٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما عَنِ النبيِّ ﷺ أنَّه قال :

(مَثَلُ القَائِمِ عَلى حُدُوْدِ اللهِ ، والوَاقعِ فيها ، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلى سَفِينَةٍ فأصَابَ بَعْضُهُمْ أعْلاهَا وأصَابَ بَعْضُهُم أسْفَلَها ، فَكَانَ الَّذِين في أسفَلِها إذا اسْتَقوا مِن الماء مَرُّوا عَلى مَنْ فَوْقَهم فآذَوْهُم ، فَقالُوا : لَوْ أنَّا خَرَقْنَا في نَصيبِنا خَرْقاً ولَمْ نُؤذِ مَنْ فَوْقَنا ، فإنْ تَرَكُوهُمْ ومَا أرادُوا هَلَكُوا جَمِيعاً ، وإنْ أخَذُوا عَلى أيْـدِيهِمْ نَجَوْا ونَجَوا جَمِيعاً).

« رواه البخاري والترمذي »

الأبحاث العربية :

القائم على حدود الله: المراد به المستمسكُ بالدين ، القائم بواجب الدعوة مز

أمر بالمعروف ، ونهي عن المنكر ، وحدودُ الله تقسم إلى قسمين : حدود الأمر ، وحدود النهي ، فحدود الأمر يجب امتثالها ، وحدود النهي يجب اجتنابها فمن الأول قوله تعالى [وَتِلكَ حُدُودُ الله يُبَيِّنُها لِقَوْمٍ يَعلَمُون] ومن الثاني [تِلكَ حُدُود الله فلا تَقرَبُوها].

الواقع فيها : المراد به المستهتر بأمور الدين ، المرتكب للمنكرات والمعاصي الذي لا يبالي بما فعل من فحشٍ وموبقات.

استهَموا : أي اقترعوا فيما بينهم ، والقرعة إنّما تكون لقطع النزاع ورفع الخلاف . وفي الحديث الشريف [لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهَموا] والمراد بالنداء : الأذان ، وكان ﷺ إذا أراد سفراً أسهم بين نسائه . أي ضرب القرعة بينهن فأيتهن خرجت قرعتها أخذها معه .

خرقنا في نصيبنا : أي ثقبنا المكان الذي نحن فيه لنستخرج منه الماء والمراد خرق السفينة .

أخذوا على أيديهم : أي منعوهم مما أرادوه من خرق السفينة ، والتعبيرُ بلفظ (أخذوا على أيديهم) يفيد المنع بالقوة كمن شددنا يديه بالوثاق لمنعه من الحركة والعمل . وهذا كما قال السفهاء من كفار قريش لبعضهم البعض (خذوا على يديه قبل أن تظهر دعوته) أي امنعوه بالقوة والحزم قبل أن ينتشر دينه .

الابحاث النحوية :

(مثل القائم) : مثل مبتدأ وخبره جملة (كمثل قوم استهموا على

سفينة) ، وجملة (استهموا على سفينة) صفة لقوم ، ولفظ (أعلاها) مفعول به لأصاب وهو مضاف إلى الهاء أي أعلى السفينة . (مرُّوا على مـن فوقهم) مَنْ اسم موصول بمعنى الذي ومحلّه الجر بعلى ، وفوقهم منصوب على الظرفية ، والجار المجرور متعلق بمروا . (فقالوا : لو أنا خرقنا الخ) جملة لو أنا خرقنا مقول القول لأنَّ (قال) تنصب الجمل ولا تنصب المفرد (خرقاً) مفعول مطلق .

الابحاث البلاغية :

١ – قوله [مثل القائم .. كمثل قوم استهموا] فيه تشبيه يسمى (تشبيهاً تمثيلياً) لأن وجه الشبه صورةٌ منتزعة من متعدد .. وهذا النوع من التشبيه له تأثير عظيم على النفس فإنّه إذا وقع في صدر القول بعث المعنى إلى النفس بوضوح وجلاء مؤيدٍ بالبرهان ليقنع السامع ، وإذا جاء بعد تمام المعاني كان كالبرهان الذي تثبت به الدعوى ، والحجة التي توجب الإذعان مثل قول الشاعر :

« لا ينزل المجـد إلا في منازلنا   كالنوم ليس له مأوى سوى المُقَل »

٢ – بين لفظ (أعلاها) ولفظ (أسفلها) طباق بين اسمين ، والطباق هو الجمع بين لفظين متقابلين في المعنى كما هو معلوم في (علم البديع) وكذلك يوجد طباق بين قوله (القائم والواقع) .

٣ – (وإن أخذوا على أيديهم) في هذا اللفظ (كناية) لطيفة فقد كنّى عن المنع بالأخذ على الأيدي فهو إذاً كناية عن (صفة) أي فإذا منعوهم عن تنفيذ ما أرادوا الخ .

ترجمة راوي الحديث :

راوي هذا الحديث الشريف هو (النعمان بن بشير بن سعد) الأنصاري

الخزرجي يكنّى (أبا عبد الله) وهو أول مولود في الاسلام من الأنصار ، وُلِدَ بعد الهجرة بأربعة أشهر وله صحبة بالنبي ﷺ هو وأبوه ولذلك يقال رضي الله عنهما ، تولى قضاء الشام ثمّ استعمله (معاوية) رضي الله عنه على الكوفة ، وكان من الخطباء المشاهير الذين لا يجاريهم أحد في قوة البيان ، وجودة التعبير . وقد قتل رحمه الله بالشام في إحدى القرى التابعة لحمص في ذي الحجة سنة ٦٤ هـ ودفن هناك وكان مقتله في عهد (مروان بن الحكم) ، روى له عن النبي ﷺ ١١٤ مائة واربعة عشر حديثاً أخرج بعضها البخاري وبعضها مسلم رحمه الله وأسكنه فسيح جناته .

الشرح الأدبي :

مثل في منتهى الجمال والروعة ، يضربه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه لأولئك الذين اخطأوا الطريق ، وضلوا الجادّة ، وتنكّبوا عن سبيل الهدى ، ففهموا (الحرية) فهماً خاطئاً ، وساروا في هذه الحياة حسب أهوائهم وشهواتهم .. ومثلٌ آخر لأولئك الذين رأوا المنكر فسكتوا عنه ، وأغمضوا أعينهم عما يدور حولهم من آثام وموبقات ، كأنّ الأمر لا يَعْنيهم ، وظنّوا في أنفسهم الصلاح والفلاح !.

إنّه مثل رائع من روائع الحِكم النبوية ، التي ضربها الرسول الكريم ، معلم الإنسانية ، ومهذب البشرية ، الذي دانت له الفصاحة والبلاغة ، وأعطي جوامع الكلم ، فكان له منها النصيب الأوفر ، فصلوات ربي وسلامه عليه !

مثل في غاية الروعة يصوّر فيه الرسول الكريم (المجتمع البشري) بما فيه من أخيار وأشرار ، ومتقين وفجّار ، بركاب سفينة في بحر

بِخِضَمٍّ متلاطمِ الأمواج ، هذه السفينة تسير وسط البحر ، تشق طريقها بين الأمواج والأعاصير ، وقد انقسم الركاب فيها إلى قسمين : قسم في أعلى السفينة ، يتمتعون بجمال الكون ، وروعة الطبيعةِ ، ونضارة الحياة ، وقد تأمنت لهم كل أسباب الرفاهية والراحة ، من مياه عذبة نقية ، وسُرر وأرائك ، وخدمٍ وولدان يسعون في خدمتهم وقضاء حاجاتهم .. وقسم في أسفل السفينة ، لا يرون مناظر الطبيعة ، ولا يتمتعون بجمالها الخلاّب ، ولا ينعمون بما ينعم به إخوانهم في الطبقة العليا ، حتى الماء فقد كانوا يجلبونه من الأعلى .. وهنـــا خطرت لهم خاطرة : وهي أن يثقبوا أسفل السفينة ويستخرجوا من البحر الماء ، حتى لا يتعبوا أنفسهم في حمل الماء ، ولا يزعجوا جيرانهم ، وهنا بدأوا بما عزموا عليه وقرروا ثقب السفينة ، فاستخرجوا المعاول والفؤوس ، وراحوا يضربون بهـــا السفينة لاستخراج الماء .. وسمع الذين هم في الطبقة العليـــا أصوات السفينة وهي تخرق ، فهرعوا نحوهم ووقفوا في وجههم يريدون منعهم ، ولكنّ أولئك الأذكياء « الشّطار » استاءوا منْ تدخل إخوانهم وقالوا لهم : هذا مكاننا نصنع فيه ما نشاء لأننا « أحرار » ، وهل تمنعون الناس من استعمال حرياتهم ؟ فإن تركوهم على إرادتهم وصنيعهم هلك ركاب السفينة جميعاً ، وإن منعوهم وأخذوا على أيديهم نجوا جميعاً !

وهكذا نحن حالنا في هذه الحياة ، نعيش فوق سطح هذا الكوكب الأرضي ، (كركاب السفينة) فينا البر والفاجر ، وفينا الصالح والطالح ، فإن تركنا أهل الشر والفساد يسرحون ويمرحون ، ويفعلون ما يحلو لهم وما يشاءون ، دون أن نوجّه لهم النصح ، أو نمنعهم عن اقتراف الموبقات والآثام هلكنا جميعاً ، وإن منعناهم منها نجونا جميعاً ، فكان في ذلك نجاتنا ونجاتهم ، وحياتنا وحياتهم .. فيا له من مثلٍ رائــع ، وتوجيه حكيم . نبهنا إليه رسول الهدى والرحمة ونبي العلم والعرفان . يا له من مثل رائع لو أنّ الناس كانوا يعلمون .!!

***

« الجليس الصالح ، والجليس السوء »

الحديث الخامس :

عَنْ أبي مُوسَى الأشعَريِّ رضي اللهُ عنه أنَّ النبيَّ ﷺ قال:

[إنَّما مَثَلُ الجَليسِ الصَّالِحِ وجَليسِ السُّوءِ ، كَحامِلِ المِسْكِ ونافِخِ الكِيرِ ، فحاملُ المِسْكِ إمَّا أن يُحْذِيَكَ ، وإمَّا أن تَبْتَاعَ مِنْهُ ، وإمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحاً طَيِّبَةً ، ونافِخُ الكِيرِ إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيابَكَ ، وإمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ ريحاً مُنْتِنَةً] .

(رواه البخاري ومسلم)

الابحاث العربية :

الجليس الصالح : إنما أداة حصر ، والمثَلُ بفتحتين : الشأن العجيب ، والأمر الغريب ويستعمل في تقريب البعيد ، وتوضيح الغامض قال تعالى « وتلكَ الأمثالُ نضربها للنّاسِ وما يَعقِلُها إلا العالِمون » والأمثال لها أثر عظيم في النفوس ولذلك فقد أكثر منها القرآن .

مثلُ الجليسِ : يقصد بالجليس الصالح هنا الصديق الفاضل المتحلي بالأخلاق الكريمــة . وفي الحديث الشريف [لا تُصاحبْ إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تَقِيٌّ] .

جليس السَوْء : يقصد به الصديق والصاحب السيء الذي فسدت طباعه وساءت أخلاقه والسَوْء بالفتح مصدر وبالضم اسم مصدر وقال اللغويون يجوز فتح السين وضمها .

كحامل المسك : المراد بحامل المسك بائع المسك وهو الطيب الذي يتطيب به الناس والمقصود منه هنا هو « بائع العطورات » لأنه يقابل (الحداد) نافخ الكير .

ونافخ الكير : الكِيْر : هو حانوت الحدّادِ وأمّا نافخ الكير فالمراد به الحدّاد الذي ينفخ النار على الحديد حتى يحمرّ فيستعمله .

تبتاع منه : أي تشتري منه وهو فعل مضارع من باب الافتعـال للمبالغة في طلب البيـع . وفي الحديث الشريف [إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد فقولوا له لا ربّحَ الله تجارتك] .

ريحاً مُنتنة : أي رائحة كريهة تنفر منها النفس ، يقال أنتن الطعام إذا فسد وانتشرت منـــه رائحة خبيثة ، وفي الحديث « دَعُوها فإنهـــا مُنْتِنة » وهي قولهم يا للأنصار ويا للمهاجرين .. الخ .

الأبحاث النحوية :

١ ــ إنمــا : كافة مكفوفة ملغاة لا عمل لها ، وهي تفيد الحصر .

٢ ــ مثل : مبتدأ وخبره جملة (كحامل المسك ونافخ الكير) ..

٣ – حامل المسك : حامل مبتدأ والمسك مضاف اليه والخبر هو جملة (إمّا أن يحذيك ..) الخ .

٤ – ريحاً طيبة : ريحاً مفعول به ل (تجد) ، وطيبة صفة وصفة المنصوب منصوب، ومثلها ريحاً منتنة ، وقوله (إمّا) شرطية تفيد معنى التفصيل .

الابحاث البلاغية :

١ – قوله (انمّا مثل) قصر إضافي يسمى هنا (قصر موصوف على صفة) وعلماء النحو يقولون : انمّا للحصر مثل (إنما يخشى الله من عباده العلماء) .

٢ – قوله (مثلُ الجليس الصالح) فيه تشبيه يسمى (التشبيه التمثيلي) حيث شبّه ببائع الطيب الذي يدخل إليه الإنسان ، فيشتري منه أو يهديه البائع ، أو يشم الرائحه العطرية الزكيّة .

٣ – قوله (كحامل المسك ، ونافخ الكير ، فيه لفٌ ونشر مرتب ، وهو من المحسنات البديعية ، فحامل المسك مثل للجليس الصالح، ونافخ الكير مثل للجليس السوء ، وسمى (لفاً ونشراً مرتباً) لأنه قد عاد عليهما بالترتيب ومثله قوله تعالى : (جعل لكم الليل والنهار ، لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله) .

الشرح الادبي :

ما أروعه من معنى وما أجمله من تصوير ! تتجلى فيه البلاغة النبوية وروعة البيان ، وإن من البيان لسحرا ، صورة حية صادقة للجليس . فالجليس الصالح هو الذي ترتاح اليه نفسك ، ويطمئن به فؤادك وتنتعش روحك .. تطرب لحديثه وتنعم بمجالسته ، وتسعد بصحبته ، انه عدة

في الرخاء وزينة في الشدة ، وبلسم الفؤاد وراحة النفس :

صحبة الصالحين بلسم قلبي   انهـا للنفوس أعظم راقي

وقـد شبهه الرسول ﷺ ببـائع الطيب ، الذي ينفحك بعطره ، ويغمرك بنشره فإما أن يهديك وإما أن تجد عنده ريحاً طيبة ، فأنت معه في ربح دائم ونشوة غامرة .

أما جليس السوء فليس هناك أبلغ من تشبيهه بالحدّاد ، الذي ينفخ بكيره ، فأنت معـه في خسارة دائمة فإن لم يحرقك بناره ، أحرقك بشراره فصحبته همٌّ دائم ، وحزن لازم .

وقد سأل أحدُ الشعراء عن جواب لهذا البيت :

« مالي أرى الشمع يذوى في معادنه : من صحبة النار أم من فرقة العسلِ ؟ »

فأجابه أحد الأدباء :

« من لم تجانسه فاحذر أن تجالسه :   مـا ضرّ بالشمع الا صحبةِ الفتل »

وهكذا يقولون : من جالس جانس لأن النفس تقتبس الخـير أو الشر من الجلساء ولهذا أمر الباري تبارك وتعـالى بصحبة الصالحين : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ، وكونوا مع الصادقين) .

* * *

« هلاك الأمم »

الحديث السادس :

« عن أمِّ المؤمنينَ زَينبَ رَضِيَ اللهُ عنها أنَّ النبيَّ ﷺ دَخلَ عليها فَزِعاً يقولُ : ويلٌ للعربِ مِنْ شرٍّ قَدْ اقتَربَ ، فُتِحَ اليومَ مِنْ رَدْمِ يأجوجَ ومَأجوجَ مِثْلُ هـذِهِ – وحلَّقَ بأُصْبعيهِ الإبهامِ والتي تَليها – فَقلتُ يا رسولَ الله : أَنَهْلِكُ وفينا الصَّالِحونَ ؟ قالَ : نَعمْ إذا كَثُرَ الخَبَثُ ».

« رواه البخاري ومسلم »

الأبحاث العربية :

فَزِعاً : الفَزَع : الذعر والخوف ومنه قوله تعالى [لا يَحزُنُهُم الفَزَع الأكبر] وقوله سبحانه [وهُمْ مِنْ فَزَعٍ يومئذٍ آمِنُون] وفي الحديث الشريف الذي رواه أنس [فزع أهل المدينة ذات ليلة فخرجوا جهة الصوت فرأوا الرسول ﷺ وهو راجع يركب بغلته وهو يقول:

ان تراعوا ، لن تراعوا فكان الرسول ﷺ أسبقهم ..]

ويل للعرب : كلمة ويل تستعمل للتهديد والوعيد مثل قوله تعالى [فَوَيْلٌ لهُم مِمّا كَسَبَتْ أيدِيهِم وَوَيْلٌ لهُم مِما يَكْسِبون] وقوله سبحانه (وَيْلٌ لِلمُطَفِّفِين) أي هلاك وعذاب لهم ، قال في الصحاح : ويلٌ كلمة مثل ويح إلا أنها كلمة عذاب .. وقد تستعمل لإظهار الحسرة والتفجع كا في الحديث هنا وكا في قوله تعالى [وهُما يَسْتَغيثان اللهَ ويلكَ آمن إنَّ وَعْـدَ اللهِ حق] . والعَرَب اسم جمع يقابل الفُرسَ والعَجَم وأما الأعراب فهم سكان البوادي يقابل سكان المدن وهم الحاضرة (انظر دليل الفالحين) .

ردم يأجوج : الرَّدْم : السدّ العظيم ومنه قوله تعالى [اجعَل بَيْنَكُم وَبَيْنَهُم رَدْمًا] أي سداً متيناً والرَّدْم أكبر من السدّ وأوثق فهو السدُّ المتين والحاجز الحصين .. وردم يأجوج ومأجوج هو السد العظيم الذي بناه (ذو القرنين) وإلى ذلك تشير الآية الكريمة (قالوا يَاذا القَرْنَيْنِ إنَّ يأجوجَ ومأجوجَ مُفسِدُونَ في الأرْضِ فَهَلْ نجْعَلُ لكَ خَرْجاً على أن تَجْعَل بَيْنَنا وَبَيْنَهُمْ سداً ؟) ويأجوج ومأجوج هما :التتر والمغول أصلهما من أبٍ واحد يسمى (تُرك) وكانوا يسكنون الجزء الشمالي من آسيا وهم من الأمم المتوحشة .

الخَبَث : أي إذا كثر الفسوق والفجور هكـذا فسّره الجمهور وقيل المراد به المعاصي مطلقاً .. وأصل الخَبَث الشيء

النجِسُ المستقبح ثم اطلق على كل فاسدٍ وقبيح من القول والعمل .

الأبحاث البلاغية :

١ — قوله (ويل للعرب) جملة خبرية ابتدائية ، والغرض من هذا الخبر إظهار (التفجع والحزن) على ما يحلّ بالعرب في آخر الزمان .

٢ — بين لفظي (العرب) و (اقترب) في علم البديع ما يسمّى بـ (السّجع) وهو توافق الفاصلتين في الحرف الأخير ، وهو في النثر كالقافية في الشعر ، وأفضله ما تساوت فقره ، وهو على ثلاثة أنواع (سجع مطرّف ، وسجع مرصّع ، وسجع متوازي) . وللسّجع نغمة موسيقية ووقع جميلٌ ، ولا يستحسن إلا إذا جاء عفواً ، خالياً من التكلف والتصنع كما في هذا الحديث الشريف ، وإلا فهو ثقيل يشبه سجع الكهّان .

٣ — قوله (مثل هذه) : فيه تشبيه وهو (مرسل مجمل) لأن أداة الشبه مذكورة ، ووجه الشبه محذوف .

٤ — قوله (الخبث) هو كناية عن الفسوق والفجور الذي يكثر في آخر الزمن فهو (كناية عن صفة) .

٥ — قوله (أنهلك وفينا الصالحون ؟) استفهام للتعجب من هلاك الأمة وفيها العباد الصالحون .

الأبحاث النحوية :

(ويل للعرب) : ويل مبتدأ والجار والمجرور هو الخبر وجاز الابتداء بها مع أنها نكرة لكونها موصوفة ، والوصف هنا تقديري أي ويل عظيم للعرب ،

وقد ذكر النحاة أن الوصف على ثلاثة انواع : وصف لفظي كقوله : رجلٌ من الكرام عندنا ، ووصف تقديري كقوله تعالى (وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) فان تقدير الكلام وطائفة من غيركم ، ووصف معنوي وهـو اذا كانت النكرة على صيغة التصغير كقولك : رُجَيلٌ عندنا فان المعنى رجل صغير عندنا [1](فزعاً) حال من فاعل دخل أي دخل عليها الرسول حال كونه مذعوراً مضطرباً وهو منتقل مشتق وليس جامداً (يقول) فعل مضارع والجملة من الفعل والفاعل في محل نصب حال ثانٍ أي فزعاً قائلاً ويل للعرب . (يأجوجَ ومأجوج) لفظ يأجوج ومأجوج مضاف اليه ومحله الجر بالاضافة ولكنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة . (مثل) نائب فاعل لفُتِحَ ، (وحلّق) الواو واو الحال والجملة حالية (وفينا الصالحون) الواو للحال الجار والمجرور (خبر)مقدم والصالحون (مبتدأ) مؤخر ، وجملة (إذا كثر الخبث) مقول القول .

ترجمة راوي الحديث :

الراوي للحديث الشريف زوج الرسول ﷺ وهي(زينب بنت جحش)رضي الله عنها التي أسلمت مع المسلمين الأوائل وهاجرت مع رسول الله ﷺ وهي ابنة عمة الرسول الكريم وأمها هي (أميمة بنت عبد المطلب) .. وقد تزوجت (زيد بن حارثة) مولى رسول الله ﷺ ومتبنّاه ثم بعد أن طلقها زيد أراد الرسول الكريم أن يتزوجها ليبطل (حكم التبني) ولكنه كان يخشى من ألسنة المنافقين أن يقولوا تزوّج امرأة ابنه من التبني فكان يتمهل في الأمر حتى أنزل الله سبحانه وتعالى حكمـه القاطع بتزويج الرسول من (زينب) والى ذلك تشير الآية الكريمة (فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم) توفيت بعد الرسول ﷺ سنة عشرين من الهجرة ودفنت بالبقيع وصلى عليها عمر بن الخطاب رضي الله عنه ..

(١) انظر شرح ابن عقيل صفحة ١٨٨ .

الشرح الأدبي :

في هذا الحديث الشريف من دلائل النبوّة، ومظاهر الرسالة ما فيه، فقد أشار الى ناحية غيبية تقع للعرب في المستقبل القريب، وقد حصل كما أخبر الصادق المصدوق ﷺ حيث كثرت الفتن والنكبات على العرب والمسلمين واشتد عليهم البلاء وحلت بهم الكوارث، وذلك كله ناتج عن تغيرهم وانحرافهم عن هدي الاسلام الحنيف، واستبدالهم النظم والقوانين الغربية التي هي من وضع البشر، بالنظام السماوي الإلهي .. فلذلك استحقوا عذاب الله وانتقامه، وإذا كثر الشر والفساد وانتشرت المعاصي والمنكرات هلك النـاس جميعاً صالحهم وطالحهم، وأحاط بهم العذاب لأنّهم بهذا السكوت عن مقاومة المنكر جرّأوا الناس على اقتراف الآثام والفواحش وهذا ما أشار اليه هدي الرسول العظيم ﷺ حين سألته السيدة زينب : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : نعم إذا كثر الخبث .

والحديث الشريف يصوّر حـالة النبي ﷺ وهو يدخل بيت زوجه زينب رضي الله عنها وهو في حالة من الفزع والاضطراب تشير إليها علائم وجهه الشريف وحزنه العميق وهو يردّد هـذه الكلمات (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قـد اقترب) فإن هذه الصورة المفزعة لتشهد بمبلغ الأسى والحزن الذي كان يختلج في صدر النبي عليـه الصلاة والسلام لما يلحق العرب من كوارث ومصائب لا تعدُّ ولا تحصى، وقد أشار الرسول الكريم إلى تلاحق الفتن وتتابع النكبات عـــلى العرب بكنايـة لطيفة هي ابتداء انثقاب السد (سدُّ يأجوج ومأجوج) وهو السد الذي يحجز وراءه تلك الأقوام المتوحشة التي إن خرجت أهلكت الحرث والنسل فهو إذاً تشبيه للفتن التي تحصل للعرب والمسلمين بالبـــلاء الذي يكون وراء خراب ذلك السد ومـــا يتولد على أثر الخراب من أضرار فادحة تلحق بالناس الآمنين أجارنا الله من فتنة الدنيا والدين .

* * *

« الاسلام دين القوة »

الحديث السابع :

عَنْ ابي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عنه أنّ رَسُولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وَسلَّم قَالَ .

(المُؤْمِنُ القَوِيُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعيفِ ، وفي كُلٍّ خَيرٌ ، إحرِصْ عَلىَ مَا يَنفَعُكَ واسْتَعِنْ باللهِ ولا تَعْجِزْ ،وإنْ أصابَكَ شيءٌ فَلاَ تَقُلْ لَوْ أنِّي فَعلْتُ كانَ كذَا وكذَا، ولكنْ قُلْ : قدَّرَ اللهُ ومَا شاء فَعَلَ ، فإنَّ « لَوْ » تَفْتحُ عَمَلَ الشَّيْطانِ).

« رواه مسلم »

الأبحاث العربية :

المؤمن القوي : لفظ « القوي » هنا ليس المراد منه قوة الجسم فحسب ، بل إنّ اللفظ جاء عاماً ليشمل القوة بجميع أنواعها ، من قوة البدن ، وقوة النفس ، وقوة العلم ، وقوة الايمان وهكذا فالمؤمن القوي في إيمانه وفي عقيدته وفي علمه وفي جسمه خير من المؤمن الضعيف .

خير : أفعل تفضيل حذفت ألفه تخفيفاً وليس مصدراً لأن معناه

التفضيل بدليل ما بعده وهو (أحبُّ) وأمّا في قوله (وفي كل خيرٌ) فإنها مصدر .

وفي كلٍ : التنوين في (كلٍ) يسمى (تنوين عوض) وهو التنوين الذي يأتي عوضاً عن الاسم ويلحق لفظ كل فهذا التنوين عوض عن قوله (وفي المؤمن القوي خير والمؤمن الضعيف خير) .

إحــــرص : من الحِرْص وهو العناية بالشيء والاهتمام به حتى لا يفوت ، والماضي (حَرَص) بفتح الراء ومنه قوله تعالى (وما أكثر الناسِ ولو حَرَصْتَ بمؤمنين) والمضارع يحرِص قال تعالى : (إن تحرص على هُداهم) .

واستعن بالله : الاستعانة طلب العون من الله سبحانه والاعتماد عليــه دون الاعتماد على الأسباب او الاشخاص فمن أعانه الله فهو المعان ، وقد أحسن القائل :

إذا لم يعنك الله فيما تريده ... فليس لمخلوق إليه سبيل
وإن هو لم يرشدك في كل مسلك ... ضللت ولو أن السماك دليل

ولا تَعجز : بكسر الجيم على الأفصح أي لا تفرّط ولا تقصّر في العمل بل اعتمد على الله مع اتخاذ الاسباب .

كذا وكذا : أي حصل الأمر الفلاني أو الشيء الفلاني فهما كنايــــة عن شيء مبهم .

تفتح عمل الشيطان : أي وساوس الشيطان وأوهامه التي يلقيها على الانسان فيكون سبباً لخسرانه وهلاكه .

الابحاث البلاغية :

١ – قوله (المؤمن القوي) جمـــلة خبرية من الضرب الابتدائي ، وفائدة الخبر هو تحريك الهمة ، والحث والترغيب لاكتساب أنواع القوة .

٢ – قوله (خير) أفعل تفضيل بمعنى أكثر فضلاً ، ومثله (أحبُّ إلى الله) فإنَّ كِلا اللفظين يقصد به التفضيل ، لكنَّ لفظ (خير) لا تدخله الهمزة وكذلك لفظ (شر) تقول : فلان خير من فلان ولا تقول : أخير .

٣ – قوله (وفي كلٍ) فيه (مجاز بالحذف) وهو حذف إيجاز ، وفي التنوين إشارة إلى هذا الحذف ، وأصله في المؤمن القوي خير ، وفي المؤمن الضعيف خير .

٤ – قوله (القويّ) : بين لفظ (القوي) ولفظ (الضعيف) من المحسنات البديعية ما يسمّى بـ (الطباق) مثل قوله تعالى (وَتَحسَبُهُم أيقاظاً وهم رقود) .

٥ – قوله (تفتح عمل الشيطان) المراد تأتي بالوساوس والأوهام فهو إذن كناية عن الوساوس التي تصيب الانسان من جراء قوله (لَوْ) .

الأبحاث النحوية :

(المؤمن القوي) : المؤمن (مبتدأ) والقويُّ (صفة). والخبر هو (خير) .. (وفي كلٍ خير) الجار والمجرور (خبر) مقدم وخير مبتدأ مؤخر ، (على ما ينفعك) ما : اسم موصول في محـــل جر بعلى والجارْ والمجرور متعلق بإحرص ، (قدّر اللهُ) فعل وفاعل ، وضبطه بعضهم بفتح الدال ورفع الراء فيكون مبتدأ (قَدَرُ الله) أي تقدير الله ومشيئته وجملة قدّر الله .. الخ مقول القول . (فإن لوْ) كلمة (لو) كلمة قصد لفظها اسم إنَّ ، وجملة (تفتح عمل الشيطان) خبر إنَّ .

الشرح الادبي :

في هذا الحديث النبوي الكريم ، دعـــوة الى القوة ، وإلى الأخذ بأسباب العزة والنصر ، فالإسلام دين القوة ، ودين العزة والكرامة ،

لا يرضى – بحال من الاحوال – أن يكون أتباعه في ضعف وهوان ، أو ذلة واستكانه ، لأن المؤمن عزيز « ولله العزة ، ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون » فلا يجتمع ايمان وهوان كما لا يجتمع النور مع الظلام ، كيف لا .. والمؤمن يعلم أن له إحدى الحسنيين : إما النصر والسعادة ، وإما الفوز بالشهادة ، وشعاره الذي يردده قول الشاعر العربي :

عش عزيزاً أو مت وأنت كريم   بين طعن القنا وخفق البنود

ولهذا فقد دعا الإسلام إلى القوة في كثير من آيات الذكر الحكيم (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ، ترهبون به عدوّ الله وعدوكم ..) الآية وضرب رسول الإنسانية محمد ﷺ أروع الأمثلة في الشّجاعة والقوة ، حين فرّ الناس يوم حنين ، ولم يبق معه إلا نفر يسير ، فكان ﷺ وهو راكب على بغلته يخترق صفوف الاعداء وهو يقول : « أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب »

ولا عجب أن نرى هذا التوجيه الكريم من رسول الهدى ونبي الرحمة ، يدعونا فيه إلى سلوك طريق القوة ، ويفضل المؤمن القوي على المؤمن الضعيف ، لأن القوة هي طريق العزة ، وهي طريق النصر ، وليست القوة التي دعا إليها نبي الإسلام قاصرة على قوة العضلات أو قوة الجسم ، بل هي تشمل ضروب القوة ، من قوة الجسم والعقل والعلم ، وقوة الخلق والدين ، وجميع السبل التي تقوي الإنسان جسمياً أو عقلياً أو روحياً ، حتى يبقى المؤمن مهيب الجانب ، عزيز النفس ، مصون الكرامة ، وليس الأخذ بالأسباب يتنافى مع الاعتماد على الله ، والاستعانة به ، فعلى الإنسان أن يسعى للأخذ بالأسباب مع اعتماده الأساسي على الله عز وجل .. ولو أن المسلمين أخذوا بهذا الهدى النبوي الكريم ، لعاشوا أعزة ، سعداء كرماء وليتهم يفعلون !!

***

«علماء السوء»

الحديث الثامن :

عَنْ أُسَامَةَ بنِ زَيدٍ رضي الله عنهُ قالَ : سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول :

(يُؤْتَى بالرَّجلِ يومَ القيامةِ فيُلْقَى في النَّارِ فتَنْدَلِقُ أقتابُ بطنِهِ فيدورُ بها كما يدورُ الحمارُ في الرَّحى ، فيَجتَمِعُ اليهِ أهلُ النَّارِ فيَقولونَ : مالكَ يا فلانُ ؟ ألَمْ تكنْ تأمرُ بالمعروفِ وتَنْهى عنِ المنكرِ ؟ فيقولُ : بلَى ، كنتُ آمرُ بالمعروفِ ولا آتيهِ ، وأنهَى عنِ المنكرِ وآتيهِ) .

(رواه مسلم)

الأبحاث العربية :

تندلق : الإندلاق : خروج الشيء من مكانه . يقال : اندلق الماء ، واندلقت الفتنة .

أقتاب بطنه : جمع قتب بمعنى الأمعاء جمع مِعَى ، والمعنى تخرج أمعاؤه من

بطنه فيدور بها كما يدور الحمار بالطاحون .

الرحى : المراد بالرحى الحجر الكبير المسمى بالطاحون يطحن الحب فيجعله دقيقاً فهو من باب التمثيل لا الحقيقة .

المعروف : المعروف كل ما يستحسنه الشرع وترتضيه العقول السليمة من قول أو عمل .

المنكر : والمنكر كل مـــا يستقبحه الشرع ولا ترتضيه العقول السليمة من قول أو عمل . والمعروف والمنكر متلازمان غالباً فقلّما يأتي لفظ الأمر بالمعروف إلا ويتبعه النهي عن المنكر في الآيات والأحاديث الشريفة قـــال تعالى : [والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر] وقال تعالى : [ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون] .

ولا آتيه : المراد لا أفعله أي كنت آمر الناس بالمعروف ولا أفعل المعروف وأنهاهم عن المنكر وافعله وفي أمثال هؤلاء يقول الله تعالى : (أتأمرون الناسَ بالبرِ وَتَنْسَوْنَ أنفسكم) .

الأبحاث النحوية :

(يؤتى) فعـــل مضارع مبني للمجهول ، ونائب الفاعل هو الجـــار والمجرور (بالرجل) .

(يوم القيامة) منصوب على الظرفية الزمانية ، مضاف ومضاف إليه.

(أقتاب بطنه) أقتاب فاعل لتندلق و(بطنه) مضاف إليه .

(كما يدور) الكاف حرف تشبيه وجر و (مـــا) مصدرية أى كدوران الحمار بالرحى .

(مالك يا فلان) ما : اسم استفهام في محل رفع مبتدأ والجار والمجرور (لك) متعلق بمحذوف خبر والتقدير أيُّ شيء حاصل لك .

(تكن تأمر) تكن متصرفة من كان الناقصة ، واسمها هو الضمير المستتر ، وخبرها هو جملة تأمر بالمعروف .

الأبحاث البلاغية :

١ – قوله (يؤتى بالرجل) جملة خبرية من النوع الابتدائي ، والغرض إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ، ويسمى هذا النوع (فائدة الخبر) .

٢ – قوله (كما يدور) فيه تشبيه يسمى (مرسلاً مفصلاً) لأنه تام الأركان ، فالرجل يدور بأمعائه في جهنم ، كما يدور الحمار برحى الطاحون .

٣ – قوله (تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر) فيه من المحسنات البديعية ما يسمّى بـ (المقابلة) فلفظة (تأمر) يقابلها (تنهى) ولفظة (المعروف) يقابلها (المنكر) .

٤ – قوله (بلى) تفيد معنى التحقيق وهي توجب ما يقال ، فإذا قيل (ألستَ عالماً) فقلت بلى فمعناه أنا عالم ، وإذا قلت في الجواب نعم فمعناه لست عالماً ، قال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى (ألست بربكم قالوا بلى) قال : لو قالوا نعم لكفروا ، لأن المعنى يصبح لست ربنا وهذا دقيق فتنبّه له .

٥ – قوله (ألم تكن تأمر) هذا استفهام انكاري والغرض منه (التوبيخ واللوم) ، واعلم أنّ الإنكار إذا وقع في الإثبات يجعله نفياً ، وإذا وقع في النفي يجعله إثباتاً ، لأن نفي النفي – كما يقول علماء اللغة –

إثباته ، ونفي الإثبات نفي ؛ مثاله قوله تعالى (ألم يجدك يتيماً فآوى) دخل الاستفهام على النفي (لم) فصار المعنى اثباتاً أي قد وجدتك يتيماً فآويتك

ترجمة الراوي :

هو (أسامة بن زيد بن حارثة) مولى رسول الله ﷺ ، وقد كان الرسول الكريم يحبه حباً عظيماً كما كان يحب والده ولهذا يدعى (الحِبّ بن الحِب) أي الحبيب بن الحبيب ، وقد كان صلوات الله عليه تبنى والده زيداً فكان في أول الإسلام يدعى (زيد بن محمد) حتى نزل قوله تعالى : (أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله) ونزل قوله تعالى (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم) روى أن النبي ﷺ قال : [إن أسامة من أحب الناس إليّ ، وإني لارجو أن يكون صالحهم فاستوصوا به خيراً] وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يجلّونه ويعظمونه حتى كانوا يقدمونه على أولادهم روي أن عمر بن الخطاب لما فرض العطاء جعل لابنه عبدالله ألفين وجعل لأسامة خمسة آلاف ، فقال له في ذلك ابنه (عبدالله) فقال عمر . فضّلته لأنه كان أحبّ الى رسول الله ﷺ منك ، وكان أبوه أحب اليه من أبيك ، فقدمت حب رسول الله ﷺ ، ولقد كان منذ صغره ذا فطنة وذكاء وكان شجاعاً لا يخاف الأخطار وقد أمّره الرسول ﷺ على جيش لحرب الروم وأمره أن يسير إلى الشام وكان عمره آنذاك ١٨ سنة وكان في الجيش أبو بكر وعمر وكبار الصحابة وتوفى الرسول الكريم بعد أن عقد له أمارة الجيش ولكنه انتقل الى الرفيق الأعلى وكان الجيش لم يسر بعد فلما تولى الخلافة أبو بكر رضى الله عنه أنفذ إرسال الجيش الى بلاد الشام وأبقى اللواء والقيادة بيد أسامة واستأذن في ابقاء عمر عنده فذهب اسامة بالجيش ثم عاد منتصراً بعد أن ربح في المعركة ، ولما طلب بعض الصحابة من (أبي بكر) عزل

أسامة لصغر سنه غضب وقال ولاه رسول الله وتأمروني بعزله والله لا أحل عقدة عقدها رسول الله ﷺ . روى له في الصحيحين أحاديث عديدة وتوفي بالجرف بعد مقتل عثمان سنة ٥٤ هـ وحمل الى المدينة المنورة رضي الله عنه وأرضاه .

الشرح الأدبي :

العلم حياة النفوس ، وغذاء القلوب ، ونور العقول والأبصار . ولكن ما أتعس الإنسان وما أشقاه حين يصبح العلم وبالاً عليه ، ويكون سبباً لهلاكه ودماره ؟ قالرسول الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم يخبر عن ذلك العالم الذي أعطاه الله العلم ، ورزقه الفهم والإدراك ، فكان يعلم الناس ويرشدهم ، ويعظهم ويذكرهم ، ويأمرهم بالخير ، وينهاهم عن الشر ، ولكنه ما كان يفعل الخير ولا يجتنب السوء والشر ، فكان فعله غير قوله ومظهره غير مخبره ، ولذلك لم ينفعه علمه بل كان سبباً لدخوله جهنم . أفليس عجيباً أن يكون العلم وبالاً على الإنسانية ؟! وحقاً .. إنها لصورة رهيبة تقشعر لها الأبدان ، وترتعد لها الفرائص ، صورة ذلك الرجل وقد اندلقت امعاؤه من بطنه ، فأصبح يدور بها كما يدور الحمار بالرحى ، وأين ذلك يكون ؟! إنه في جهنم المتأججة بنيرانها الملتهبة بسعيرها ، والناس قد اجتمعوا عليه يسألونه مستغربين عن سبب هذا العذاب ، وعن سبب ذلك المصير المشئوم ؟! يقولون له : ألست أنت فلان الذي كنت تأمرنا في الدنيا بالمعروف وتنهانا عن المنكر ؟! ألست أنت الذي كان يقضي أوقاته في الدعوة الى الخير والبر والاصلاح ؟!

فيقول : نعم أنا فلان الذي كنت آمركم بالخير ، ولكنني لا افعله ، وانهاكم عن الشر وأفعله .

حقاً .. انها النهاية الأليمة المفجعة التي تذيب القلب ، وتَلذّع الفؤاد ، فليس أوجع على النفس ، ولا أنكى على القلب من أن يضلّ الانسان ويشقى بسبب العلم ، وفي أمثال هؤلاء يقول القرآن الكريم :

« أفرأيتَ من اتّخذَ إلهَهُ هَوَاهُ ، وأضلّهُ اللهُ على علمٍ ، وختمَ على سَمْعِهِ وقلْبِهِ ، وجعلَ على بصرِهِ غشاوَةً ، فمنْ يهديهِ من بعد الله ؟ أفلا تذَكّرونْ ؟ » .

فالعلم الذي هو سبب السعادة والمنار الهادي في سبيل الحياة اذا لم ترافقه تقوى الله سبحانه ، كان سبباً الشقاء والهلاك ، وكان حجة على صاحبه ووبالاً عليه يوم القيامة ، ولله در القائل حيث يقول :

لو كان في العلم من دون التقى شرف : لكان أشرفَ خلق الله إبليسُ

اللهم احفظنا من السوء والبلاء ، ولا تجعلنا من الذين يقولون ما لا يفعلون ، ولا من الذين يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم إنك سميع مجيب الدعاء .

* * *

« الظلم ظلمات يوم القيامة »

الحديث التاسع :

عنْ جابرٍ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قال :

(اتّقُوا الظُّلْمَ فإنَّ الظُّلْمَ ظُلُماتٌ يومَ القِيامَةِ، واتّقُوا الشُّحَّ فإنَّ الشُّحَّ أهلَكَ مَنْ كانَ قبلَكُمْ حَمَلَهم عَلى أنْ سفَكوا دِماءَهُمْ واستَحَلُّوا محَارِمَهُمْ) .

« رواه مسلم »

الأبحاث العربية :

اتقوا الظلم : أي اجتنبوا الظلم وابتعدوا عنه ، والظلم هو : التصرف في حق الغير بدون حق أو مجاوزة الحد . قال ابن الجوزي : الظلم يشتمل على معصيتين : ١ ـ أخذ حق الغير بدون حق ، ٢ ـ ومبارزة الرب سبحانه وتعالى بالمخالفة والمعصية ، والظلم إنما يقع غالباً بالضعيف الذي لا يقدر على الانتصار ، وإنما ينشأ من ظلمة القلب لأنه لو استنار لاعتبر .

ظلمـــات : ظلمات جمع ظلمة وهي شدة الظلام بحيث لا يرى الإنسان ما يحيط بـه ، ويحتمل أن اللفظ على حقيقته أي أن الظلم كان سبباً لتخبُّط الإنسان في الظلمات يوم القيامة كما أن عمل الصالحات يكون سبباً للنور يوم القيامـة (يَوْمَ تَرَى المؤمنينَ والمؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بين أيدِيهِمْ وَبأيمانِهِمْ) . ويحتمل أن المراد بالظلمات هنا الشدائد كما في قوله تعالى : [قُلْ مَنْ يُنَجّيكُمْ مِنْ ظُلمات البَرِ والبَحْرِ] أي من شدائدها وأهوالها

الشـــح : أي اجتنبوا البخل الذي يعرّض صاحبـه للدمار ، والشح هو البخل مع الحرص الشديد أو هو أشد البخل قال تعالى : [وَمَنْ يُوقَ شُحّ نَفْسِهِ فأولئِكَ هُمْ المفْلِحُونْ] وفرّق بعضهم فقال : البخل يكون بالمال ، والشح يكون بالمال وبعمل الخير فهو أعم . وفي الحديث الشريف [إذا رَأيتَ شُحاً مُطـاعاً ، وَهَوىً متّبعاً . وإعجَابَ كلّ ذي رَأي برأيهِ فعَلَيْكَ بخُوَيصَةِ نفسك ، وَدَعْ عَنْكَ أمرَ العَامّة].

سفكوا دماءهم : أي أرقوا دماء بعضهم البعض والمعنى قتلوا بعضهم البعض بسبب الشح بالمال والحرص عليه .

واستحلوا محارمهم: أي استباحوا ما حرمـه الله عليهم من أكل الأموال وسفك الدماء ، والمحارم جمع مَحْرَم وأمـا المحَرّم فجمعه محرّمات ، والمحرّم بالسكون والتشديد معنـاه ما حرّمه الله على عباده

الأبحاث النحوية :

١ - (إنّ الظلم ظلمات : إنّ حرف توكيد ونصب ، و (الظلم) اسمها و (ظلمات) خبرها ، و (يوم القيامة) منصوب على الظرفية وهو مضاف .

٢ - (أهلك من كان قبلكم) هذه الجملة في محل رفع خبر (إنّ) الثانية ، و (مَنْ) اسم موصول مفعول به و (كان) تامة بمعنى وجد فهي مثل (وإن كان ذو عسرة) أي إن وُجِد معسر .

٣ - (أن سفكوا) أنْ وما بعدها في تأويل مصدر مجرور بـ (على) أي حملهم على سفك دمائهم ، واستحلال محارمهم .

الأبحاث البلاغية :

١ - قوله (اتقوا الظلم) و (اتقوا الشح) كل منهما جملة انشائية خرجت عن معناها الأصلي إلى (التحذير والتنبيه) .

٢ - قوله (الظلم ظلمات) في هـــذه الجملة جناس لطيف يسمى (جناساً ناقصاً) وهو من المحسنات البديعية .

٣ - قوله (فإنّ الشحّ أهلك) نسبة الإهلاك إلى الشح من باب المجاز وهو (مجاز عقلي) مثل أنبت الربيع البقل ، وبنى الأمير البلدة .

٤ - قوله (سفكوا دماءهم) مجاز بالحذف فهو على حذف مضاف المعنى سفكوا دماء إخوانهم ، او سفكوا دماء بعضهم .

الشرح الأدبي :

ما أعظم الاسلام دين الحق والعـدالة ، ودين المساواة والانصاف ..؟ إنه الدين الذي يمقت الظلم ويكره العدوان ، ويأمر بالعدل والإحسان ، وايتاء ذي القربي ، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي .!!

ورسول الله ﷺ يبين لنا في هـذا الحديث النبوي الرائع عاقبة الظلم ومصير الظالمين .. إنه مصير مشئوم لأنه يكون يوم القيامة ظلاماً دامساً يحل بصاحبه فلا يرى طريقه ، ولا يعرف كيف يمضي ولا أين يسير ؟! وبهذا التعبير الموجز عن مصير الظالمين ينفّر الرسول الكريم من الظلم بجميع انواعه وضروبه ، ويحذر من عاقبته التي هي أسوأ عاقبة (وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلب ينقلبون) وليس هذا فحسب ، بل ان الظالم سينتقم الله منه في الدنيا قبل الآخرة ، فاذا تأخر عنه العذاب فليس ذلك بإهمال من الله — جـل وعلا — بل انه زيادة في عذابه لانه استدراج له ، وفي ذلك يقول رسول الهدى والرحمة محمـد — صلى الله عليه وسلم — « إن الله ليُمْلي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلتـه » ثم تلا قوله تعالى (وكذلك أخذ ربك اذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إنّ أخذه أليم شديد) .

وأقبح أنواع الظلم ، وأبشعه صورة ، أن يظلم الإنسان قريبه ، أو صديقه ، أو من يجب الإحسان إليه والعطف عليه ، وما أصدق قول (طَرَفة ابن العبد) :

« وظلمُ ذوي القربى أشدُّ مضاضة : على النفس من وقع الُحسام المهنّد »

وهكذا تكون عاقبة الظلم والعدوان .

وفي الحديث الشريف تحذير آخر من مرض اجتماعي خطير ، الا وهو الشح والبخل ، لأن المجتمع الاسلاميّ مجتمع التكافل والتضامن والتعاون بين افراده ، فاذا فشا البخل فيه عمت العداوة والبغضاء بـين الفقير والغني ، ولذا كان البخل سبباً لهـلاك الأمم السابقة حيث دفعهم الى سفك الدماء وقتل النفوس واستحلال المحارم التي حرمها الله تعالى فما اقبح الظلم والُشح ! ومـا اشنع عاقبتهما الوخيمة التي هي سبب الشقاء الدائم والخسران المبين .

* * *

« عدالة الاسلام »

الحديث العاشر :

عن عائشةَ رضيَ اللهُ عنهـــا : أنَّ قُريْشاً أهمَّهُمْ شأنُ المرأةِ المَخْزُومِيَّةِ التي سَرَقَتْ ، فقَالوا : مَنْ يُكَلِّمُ فِيهـــا رَسُولَ اللهِ ﷺ ؟! فَقَالوا : ومَنْ يَجْتَرِىءُ عليهِ إلاَّ أُسامَةُ ابنُ زَيْدٍ ، حِبُّ رسولِ اللهِ ﷺ ؟ فَكلَّمهُ أسامَةُ فقال رسولُ اللهِ ﷺ : أتَشْفَعُ في حدٍّ مِنْ حدُودِ اللهِ تعالى ؟ ثُمَّ قَامَ فاخْتطَبَ ، ثُمَّ قَال : (إنَّما أهلَكَ الَّذينَ قَبْلَكُمْ أنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فيهِمُ الشَّريفُ تركوهُ ، وإذَا سَرَقَ فيهِمُ الضَّعِيفُ أقَامُوا عَلَيْهِ الحدَّ ، وايمُ اللهِ لَوْ أنَّ فاطِمَةَ بنتَ مُحمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدها .

« متفق عليه »

الأبحاث اللغوية :

أهمهم : أي جلب لهم الهمّ والقلق ، لأن هذه المرأة كانت

من الأشراف فخاف أهلها وعشيرتها أن يقطع الرسول يدها فبحثوا لها عن طريق الخلاص .

المخزومية : نسبة إلى (بني مخزوم) وهي قبيلة من قبائل قريش وإليها ينتسب خالد بن الوليد رضي الله عنه ، و « بنو مخزوم) و (بنو هاشم) و (بنو عبد المطلب) كلهم من الأشراف

من يكلم فيها رسول الله: أي من يكلمه في شأنها من أجل الشفاعة حتى يترك الرسول إقامة الحدّ عليها .

حِب رسول الله : أي حبيب الرسول المقرّب لديه ، وهو بالكسر بمعنى الحبيب وبالضم مصدر أحب قال تعالى . (والذين آمنوا أشدُّ حُبّاً لله) والحب في الله والبغض في الله أوثقُ عرى الإيمان .

أتشفع في حدّ ؟ . الاستفهام هنا للإنكار فهو ﷺ ينكر على أسامة الشفاعة في الحدود التي فرضها الله وجاء في رواية أخرى : فتلوّن وجه رسول الله فقال أتشفع في حد من حدود الله ؟

الشريف : صاحب المنزلة والجاه وجمعه أشراف قال ﷺ : (أشراف أمتي حملة القرآن) .

وايم الله : قسم بالذات المقدّسة معناه قسم بالله ، وأصل ايم الله (أيمن الله) جمع يمين حذفت النون منه فصار (أيم الله) وهو من أنواع القسم .

الأبحاث النحوية :

١ – (أنّ قريشاً أهمهم) أنّ حرف توكيد ونصب (قريشاً)

اسمها منصوب والخبر جملة (أمهم) و (شأنُ) فاعل لأهمهم ، وجملة (مَنْ يكلم ؟) مقول القول .

٢ – (إلاّ أسامةُ حبّ رسول الله) إلاّ أداة حصر و (أسامةُ) فاعل ليجترىء و (وحبُّ) بدل من (أسامةُ). وهو مضاف و (رسول الله) مضاف إليه .

٣ – (إنما أهلك الذين) انما كافة مكفوفة ملغاة لا عمل لهـا و (أهلك) فعل ماضي و (الذين) مفعول به مقدم وجملة (أنهم كانوا إذا سرق) في محل رفع فاعل .

٤ – (وايمُ الله) أيمُ مبتدأ ولفظ الجلالة مضاف إليه والخبر محذوف تقديره قَسَمي .

الأبحاث البلاغية :

١ – قوله (مَنْ يكلم فيها ؟) مجاز بالحـذف وأصل الكلام (من يكلمُ في شأنِ رفع الحدّ عنها) وحذفت هذه الجملة اختصارا لأن البلاغة في الإيجاز .

٢ – قوله (أتشفع في حـد ؟) جملة إنشائية والاستفهام انكاري غرضه التوبيخ على ذلك الصنيع .

٣ – قوله (تركوه) فيه مجاز بالحذف أي تركوا إقامة الحـدّ عليه بدليل قوله (أقاموا عليه الحد) وبين لفظي (تركوا) و (أقاموا) طباق .

٤ – قوله (وايم الله لو أنّ فاطمة) جملة خـبرية من الضرب الإنكاري لوجود القسم .

الشرح الأدبي :

في هذا الجو الروحاني ، ومع هـذه الإشراقة الوضاءة ، من حياة سيد البشر محمد ﷺ ، يضرب الرسول الكريم أروع الأمثلة في تطبيق مبدأ العدالة والمساواة دون تفريق وتمييز ، بين قوي وضعيف ، وكبير وصغير ، وشريف ووضيع ، فالكـل في نظر النبي سواء ، لا يراعى الغني لغناه ، ولا يحابى الشريف لشرفه ومنزلته ، فالناس في ميزان الدين — سواسية كأسنان المشط .. وهكذا يأتي الرسول — عليه أفضل الصلاة والتسليم — على قواعد الجاهلية فيدكها من أساسها ويقتلعها مـــن جذورها ويقرر مبدأ الحق ، والعدل ، والمساواة بين طبقات الأمة الواحدة.

ها هي امرأة من أشراف قريش تسرق عـــلى عهد رسول الله ﷺ ويخشى عليها قومها وعشيرتها أن يبلغ أمرها إلى الرسول فيقيم عليها الحد ويقطع يدها ، ويهتمون لشأنها لأنها من الأشراف ، فيبحثون لها عن شفيع عند النبي ﷺ فلا يجدون إلا (أسامة بن زيد) حبيب الرسول والمقرب لديه ، فيتكلمون معـه ليتوسط الامر ظناً منهم أن الرسول ﷺ لن يردّ شفاعته ورجاءه لأنه الحبيب بن الحبيب ويأتي (أسامة) إلى الرسول الكريم فيكلمه في شأن المرأة وهو واثق من قبول هذه الشفاعة ، فما يكون من الرسول إلا أن يغضب ويظهر الغضب في وجهـه ، فيتلون وجهه ، وتحمر عيناه ، وتثور في نفسه دوافـع الغيرة على حدود الله فيقول لأسامة : أتشفع في حدٍ من حدود الله !؟ يقول ذلك منكراً عليه ، مستعظماً لعمله ثم يقف خطيباً في الناس يبين لهم أن هلاك الأمم السابقين إنما كان بسبب عدم تطبيق حدود الله فيقول قولته الكريمة (أيها الناس انما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد) وفي هذا بيان لسبب هلاك الأمم ودمارها ..

والاسلام دين الحق والعدل والمساواة لا يرضى بهذا المبدأ الجائر الظالم ، مبدأ التفرقة

بين الناس ، والتمييز بين العناصر ، فهذا شريف يعظم ويكرّم لشرفه وجاهه ، وهذا ضعيف لا حول له ولا طول ، يزدرى ويهان لضعفه وقلّة شأنه .. وهكذا كان مبـــدأ الجاهلية تقسم الناس إلى فئات وطبقات ، الى سادة وعبيد ، إلى أشراف وضعفاء ، إلى أفاضل وخدم ، لكل فئة قانون ، ولكل جماعة نظام ، فقانون السادة غير قانون العبيد ، ودستور الأشراف غير دستور العامة والسوقة ..

لقد جاء الإسلام فحطم هذه النظم البالية ، والقوانين الجائرة ، وأقام الناس جميعاً على قانون واحد ونظام عادل يشمل الصغير والكبير ، والعظيم والحقير ، ويجمع بين السادة والعبيد (إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم) !.

وهكذا يغضب الرسول ﷺ لهذه الشفاعة ويقول كلمته الذهبية : « والله لو أنّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعتُ يدها » .

وحاشـا للسيدة فاطمة الزهراء بنت رسول الله التي تربّت في بيت النبوة أن تسرق أو أن يقع منها ما يوجب عليها الحد .. حاشا لها أن تفعل القبيح أو تأتي المنكر ولكنه مثل يضربه الرسول الكريم حتى يبقى مثالاً خـالداً على كر الدهور ومر العصور في أنّ رسالة الإسلام ودعوة محمد ﷺ إنما هي دعوة العدل ، ودعوة الانسانية والمساواة لا محاباة فيها ولا مداراة .. إنه المثل الأعلى والنموذج الكامـل لعدالة الإسلام التي ينبغي أن تُبنى عليها النظم ، وتُساس عليها الأمم ، لأنها شريعة الله ..!!

* * *

« التربية النبوية »

الحديث الحادي عشر

« عن ابنِ عمرَ رضيَ اللهُ عنهما أنَّه قالَ : أخذَ رسولُ الله ﷺ بمنكبيَّ فقال : كنْ في الدنيا كأنَّكَ غريبٌ ، أو عابرُ سبيلٍ وعدَّ نفسَكَ من أهلِ القبور .. وكانَ ابنُ عمرَ رَضي اللهُ عنهما يقولُ : إذا أمسيتَ فلا تنتظرِ الصَّباحَ ، وإذا أصبحتَ فلا تَنْتَظرِ المسَاءَ ، وخــذْ من صحَّتِكَ لمرضكَ ، ومنْ حيَاتِكَ لموتكَ » .

« رواه البخاري والترمذي »

الابحاث العربية :

بمنكبيَّ : تثنية مَنكِب وهو مجمع رأس العضد والكتف لأنه يعتمد عليه ، وروي (بمنكبيْ) بالإفراد ، وانما فعل ذلك ﷺ معه ليستيقظ ويقبل بقلبه على ما يلقيه عليه النبي الكريم وهكذا عادته صلوات الله عليه في مؤانسة جلسائه .

غريب : الغريب مأخوذ من (الغُربة) وهي البعد عن الأهــل والأوطان قال الشاعر :

أجارتنا إنّا غريبانِ ههنا   وكل غريب للغريبِ نسيب

وفي الحديث الشريف (بدأ الدين غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء) .

عابرُ سبيل السبيل : الطريق والمراد بعابر السبيل : المسافر الذي يمر بطريقه على بعض البلدان والأماكن .

من أهل القبور: أي عدّ نفسك من الموتى ، لأن أهل القبور كناية عن سكانها وهم (الموتى) كما قال تعـــالى (لا تتولوا قوماً غضبَ اللهُ عليهم قد يئسوا من الآخرةِ كما يئس الكفارُ من أصحابِ القبورِ) .

إذا أمسيت . أي دخلت في المساء وهو من الزّوَال (أي الظهر) إلى نصف الليل .

وإذا أصبحت: أي دخلت في الصباح ، والصباح من الفجر إلى الزوال ،

صحتك لمرضك: أي خـــذ من وقت صحتك لوقت مرضك فهو اذاً على (حذف مضاف) وكذلك من (حياتك لموتك) والمراد أن يغتنم الانسان وقت شبابه ووقت صحته . فيعمـــل الأعمال الصالحة حتى إذا أدركته الشيخوخة أو المرض كان متزوداً من فعل الصالحات .

الأبحاث النحوية :

(كنْ في الدنيا) : كنْ فعل أمر متصرف من كان الناقصة ، واسمها ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت ، والخبر جملة (كأنـك غريب) .

(كأنـك غريبٌ) : كأنّ حرف تشبيه ونصب ، والكاف اسمها ، وغريب خبرها .

(عدّ نفسك) : عدّ أصلها (أعدد) وهي فعل أمر والفاعل أنت ،

و (نفسك) مفعول أول ، والمفعول الثاني هو متعلق الجار والمجرور وهو محذوف ، والتقدير عدّ نفسك ميتاً ، أو عدّ نفسك ساكناً القبر .

(إذا أصبحت) : إذا : شرطيّة ، وأصبحت فعل ماضي تام ، والقاعدة هي أنه إذا اكتفت الافعال الناقصة بمرفوعها أعربت تامة كقوله تعالى : (فَسُبحانَ الله حينَ تُمسونَ وحينَ تُصبِحونَ) أي حين تدخلون في المساء وفي الصباح وجواب الشرط هو (فلا تنتظر) .

الأبحاث البلاغية :

١ – قوله (أخذ بمنكبيّ) جملة خبرية الغرض منها إفادة الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى (فائدة الخبر) .

٢ – قوله (كن في الدنيا) جملة انشائية طلبية العامل فيها الأمر ، والأداة فعل الأمر (كن) وقد خرجت عن غرضها الأصلي وهو (الوجوب واللزوم) إلى النصح والإرشاد ، وأنواع الإنشاء الطلبي خمسة وهي (الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمني ، والنداء) .

٣ – قوله (كأنك غريب) فيه تشبيه يسمى (مرسلا مجملا) أمّا أنه (مرسل) فلأن أداة التشبيه وهي (كأن) مذكورة ، وأما أنه (مجمل) فلأن وجه الشبه غير مذكور ، والتقدير (كن كالغريب في عدم الاستقرار والتفكير بالمكث وطول الإقامة .

٤ – قوله (من أهل القبور) فيه كناية لطيفة فقد كنّى عن الموتى بأهل القبور ، وهي مثل قوله تعالى (ألهاكمُ التكاثر حتى زُرتم المقابر) أي حتى أصبحتم في عداد الموتى حيث كنّى عن الموت بزيارة القبور .

٥ – قوله (إذا أصبحت فلا تنتظر المساء) تقابل لطيف بين الجملتين ، وهو فنّ من الفنون البديعية ويسمى (المقابلة) فقد قابل بين (أصبحت)

و (أمسيت) ، وبين (الصباح) و (المساء) إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح .

وتعريف المقابلة : أن يؤتى بمعنيين متوافقين ، أو معانٍ متوافقة ثمّ يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب كقول المتنبّي :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي : وأنثني وبياض الصباح يغري بي

٦ - قوله (من صحتك لمرضك) طباق ، ومثله (حياتك لموتك) وهو طباق إيجاب .

التعريف براوي الحديث :

هو (عبد الله بن عمر بن الخطاب) رضي الله عنهما أحد العبادلة الأربعة ويكنى (أبا عبد الرحمن) ولد قبل البعثة بسنة ، وأسلم مع أبيه عمر بمكة وهو صغير ، وهاجر إلى المدينة قبله ولكنه لم يشهد غزوة بدر لأنه كان صغير السن ، وفي أحد كان عمره / ١٤ / عاماً فاستصغره النبي ﷺ ثم بلغ في عام الخندق خمسة عشرة عاماً فأجازه ﷺ ثم لم يتخلف بعد عن سرية من سرايا رسول الله ﷺ وقال ﷺ لشقيقته حفصة « ان أخاك رجل صالح لو أنه يقوم الليل » فلم يترك قيام الليل بعد ذلك أبداً ، وكان من فقهاء الصحابة ومن المفتين منهم والزُهّاد. اعتزل الفتنة فلم يقاتل مع (علي) ولا مع (معاوية ، وكان يحج كل عام حتى بلغت حجاته (٦٠) حجة واعتمر ألف عمرة فكان من كبار العُبّاد ، مات بمكة سنة / ٧٣ | هجرية عن / ٨٦ / سنة ، وقد مات شهيداً وسبب موته أن الحجاج سفِه عليه ذات مرة فقال له ابن عمر انك سفيه ، مسلّط فصعب ذلك على الحجاج فأمر رجلاً فسم رمحه ووضعه على قدمه في الطواف فالتهب الجرح وتسمّم ومات رحمه الله ودفن بمكة رضي الله عنه وأرضاه

الشرح الادبي :

مع هذا التوجيه النبوي الكريم ، والإرشاد الصادق الحكيم .. تتربى في نفس المؤمن روح الجهاد والكفاح ، والزهد في هـــذه الحياة الزائلة الفانية ، فليس المؤمن كغيره من أفراد النـــاس ، يكد ويكدح ، ويشقى وينصب في سبيل حطام الدنيا ، وجمع ما فيها من ثروة ومال .. بل إن له نفساً توّاقة إلى المعالي ، تترفع بـــه عن سفاسف الأمور وتعلو به إلى مدارج الرقي والكمال ، إلى أجواء قدسية من حب الخير والفضيلة والبحث عمـا تتوق إليه النفس الكريمة من صالح الأعمال ..

على هذه التربية الكريمة نشأ أصحاب رسول الله ﷺ ، وعليها درجوا ، فكانوا مصابيح تضيء للناس في ظلمات هذه الحياة ، ولا عجب فلقد اقتبسوا ذلك من معين النبوة ، ومنبع الفضل والكمال ، فهذا هـــو رسول الله ﷺ يربي أصحابه تربية انسانية كاملة .. يعلّمهم كيف يكونون جنوداً للحق ، وأنصاراً للدعوة ، يزهدون في هـــذه الحياة الدنيا ، فيضحون بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، ويتسابقون للآخرة ، ليكونوا حملة رسالة ، وقادة أمة ودعاة خير وإصلاح .. واضعين نصب أعينهم قول الله تبارك وتعالى : (إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهمُ الجنة) فما كانت الحياة تشغلهم ، وما كانت الدنيا تفتنهم عن واجب الدعوة إلى الله ، والجهاد في سبيله لإعلاء دينه ، ورفع منـــار الإسلام .!

ولقد أحسن القائل حين قال :

« كأنهم في ظهور الخيل نبتُ ربى ‌ ‌ ‌ من شدةِ الحزْم لا من شدة الحُزُمِ »

لقد كانت تربية النبي ﷺ لأصحابه تربية مثالية كريمة .. تربية فيها الشجاعة والبسالة ، وفيها العزم والحزم ، وفيها الزهد والعفاف لذلك فقد

كانوا رجالاً وأبطالاً فتحوا الدنيا ، وسادوا العالم بتلك المعاني النبيلة التي غرسها في قلوبهم المربي الأول محمد ﷺ هذا هو رسول الله ﷺ يوجه ذلك الشاب المؤمن (عبد الله بن عمر) الوجهة الفاضلة الرشيدة ، فيمسك بمنكبه – مؤانساً ومسلياً – ثم يقول له تلك القولة الكريمة الهادفة (كن في الدنيا كأنك غريب ، أو عابر سبيل ، وعدّ نفسك من أهل القبور) .

ما أجملها من نصيحة ، وما أكرمها من قولة !! وحقاً إنها للفتة سامية هادفة ، ونصيحة ثمينة غالية ، يقدمها الرسول الكريم لهذا الشاب المؤمن الذي ملأ الإيمان قلبه ، وغمر اليقين نفسه ، فيحرك فيه بواعث الخير ، ويفجّر فيه ينابيع الإيمان والفضيلة .

ولقد كان لهذه التربية ولهذا التوجيه أثر في نفس ذلك الشاب المؤمن فإنّ هذه الباقة الجميلة التي قدمها له مربي الانسانية ومهذب البشرية محمد ابن عبد الله ﷺ ، قد أعطت ثمراتها اليانعة ، فوقعت في نفسه موقعاً عظيماً ، وتقبّلها تقبلاً حسناً .

لقد جمعت هذه الكلمات القلائل أنواع النصائح ، فالغريب الذي قدم بلداً غير بلده ، لامسكن له فيه يؤمه ، ولا صديق يواسيه ، ولا أحد من الأهل والأولاد يؤانسه ، كيف يكون حاله ، ألا يشعر بالوحشة والغربة ، ويشتهي العودة الى الأهل والأوطان ؟! وهل يكون له رغبة في البقاء بأرض الغربة والإقامة فيها !!

والانسان الذي انتقل من هـــذه الدار – دار الفناء – وأصبح في دار البقاء هل يبقى له طمع في جمع الأموال وتكديس الثروات ، أم يصبح همه في نيل رحمة الله ورضوانه ، ويتمنى العودة الى الدنيا ليكثر فيها من صالح الأعمال !!

فلله ما أعجب هذه الحياة الدنيا ، وما أتفهها وأحقرها إن لم يغتنم منهـا الانسان ويتزود بصالح الأعمال !! وهل هذه الدنيا الا

دار الغرور ، يركن اليها الغافل ، ويغتر فيها الجهول ، ولله در القائل حيث يقول :

. تعبٌ كلها الحياة فما أعجب   إلاّ من راغبٍ في ازدياد

وبهذه المعاني السامية ، انطلقت نفس هذا الغلام اليافع وتردّدت على لسانه ، تلك الكلمات العظيمة الرائعة ، التي هي ثمرة التربية النبوية الصادقة : (إذا أصبحت فلا تنتظر المساء ، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وخذ من صحتك لمرضك ، ومن حياتك لموتك) .

فلله ما أسماها من نصيحة ، وما أصدقها من تربية !!

« تلاوة القرآن »

الحديث الثاني عشر :

عن أبي مُوسَى الأَشعريِّ رضيَ الله تعالى عنهُ أنَّهُ قالَ ، قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ :

(مثلُ المؤمنِ الّذِي يَقْرأُ القرآنَ مَثَلُ (الأُتْرُجَّةِ) رِيحُهَا طيِّبٌ وطعمُهَا طيِّبٌ ، ومَثَلُ المؤمنِ الذي لا يَقْرأُ القرآنَ كمثلِ (التمرةِ) لا ريحَ لها وطعْمُهَا حُلْوٌ .. ومثلُ المنافقِ الّذِي يَقْرأ القرآنَ كمثـــلِ (الريحانةِ) ريحُها طيِّبٌ وطعْمُهَا مُرٌّ ، ومثلُ المنافِقِ الذي لا يَقْرأُ القُرْآنَ كمَثَلِ (الحَنْظَلَةِ) لَيْسَ لها ريح وطعْمُهَا مُرٌّ) .

« متفق عليه »

الأبحاث العربية :

مثـــل : المثل في اللغة : المثيل والشبيه والنظير ، وجمعه أمثال ، قال تعالى [وتلك الأمثالُ نضربُها للنّاسِ وما يعقِلُهَا إلا العَالمونَ] والغرض من ضرب المثـــل تقريب البعيد ،

وتوضيح الغامض وتصويره كأنه محسوس ملموس ، والتمثيل يكسب القول قوة ، والمعنى روعة

الأُتْرُجة : بضم الهمزة وتشديد الجيم هو نوع من الفاكهة لذيذ الطعم طيب الرائحة معروف عند العرب . قال (علقمة بن عَبَدة) :

يحملن أُترجةً نضحُ العبير بها كأنَّ تطيابها في الأنف مشموم

المنافق : هو الذي يظهر شيئاً ويبطن شيئاً آخر ، فظاهره غير باطنه ، وصورته غير حقيقته ، والنفاق قسمان : نفاق في العقيدة وهو كفر وضلال ، ونفاق في العمل وهو الرياء المذموم الذي يُحبط العمل وفي الحديث الشريف [أربع من كنَّ فيه كان منافقاً خالصاً] .

الريحانة : نبت طيب الرائحة وهو من أنواع الزهور يشبه الياسمين والورد وغيرهما وجمعه رياحين قال الشاعر :

«إن النساءَ رياحينٌ خلقن لنا وكلُّنا يشتهي شمَّ الرياحين»

الحنظلة : واحدة الحنظل وهو شجر مرٌّ خبيث الطعم ، تعافه حتى الإبل لمرارته وبشاعته .

الأبحاث النحوية :

(مثل المؤمن) : مثل مبتدأ مرفوع بالضمة في آخره وهو مضاف والمؤمن مضاف اليه مجرور بالكسرة الظاهرة (الذي يقرأ) الذي اسم موصول صفة للمؤمن تقديره (مثل المؤمن القارىء للقرآن) وخبر المبتدأ هو (مثل الاترجة) فمثل هي الخبر والأترجة مضاف اليه ، (ريحها طيب) مبتدأ وخبر وكذلك لفظ (طعمها حلو) مبتدأ وخبر ايضاً ، وإعراب (لا ريح لها) لا نافيه للجنس تعمل عمل إنَّ و (ريح) اسمها مبني على

الفتح في محل نصب اسم إنَّ ، و (لها) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر إنّ مرفوع .

الأبحاث البلاغية :

١ - قوله : (مثل المؤمن كمثل الأترجة) الخ فيه تشبيه يسمّى (تشبيهاً تمثيلياً) وهذا النوع من التشبيه أبلغ من غيره لما في وجهه من التفصيل الذي يحتاج إلى إمعان فكر وتدقيق نظر وهو أعظم أثراً في المعاني ، يرفع قدرها ، ويزيد جمالها ، فإن كان مدحاً كان أوقع ، أو ذماً كان أوجع أو برهاناً كان أسطع ، ووجه الشبه فيه يكون (صورة منتزعة من متعدد) ، ولتشبيه التمثيل موقعان :

أولاً : أن يكون في مفتتح الكلام فيكون قياساً واضحاً وبرهاناً ساطعاً على اظهار المعنى المقصود في صورة الملموس المشاهد الذي ينبعث الى النفس بوضوحٍ وجلاءٍ ، وقد كثر هذا النوع في القرآن والسّنة لمالهُ من تأثيرٍ عظيمٍ في النفس انظر الى روعة التمثيل في قوله تعالى : [مثلُ الذينَ حُمّلوا التوراةَ ثم لم يحملوها كمثلِ الحمارِ يحملُ أسفاراً] فالمشبه هم الذين حمّلوا التوراة ولم يعقلوا ما فيها وهم اليهود ، والمشبه به (الحمار) الذي يحمل الكتب النافعة دون أن يستفيد منها ، والأداة (الكاف) ، ووجه الشبه (الهيئة الحاصلة من التعب في حمل النافع دون فائدة) وفي هذا الحديث الشريف (تشبيه تمثيلي) لأن وجه الشبه منتزع من متعدد وهو طعم الأترجة الطيب ، وريحها العاطر الذي ينعش النفس ، ويُبهج القلب بحلاوته وطيبه ، والتشبيه هنا جاء في مفتتح الكلام فهو من القسم الأول .

ثانياً : أن يجيء التمثيل بعد تمام المعاني لإيضاحها وتقريرها فيشبه

حنئذٍ البرهان الذي تثبت به الدعوى كقول الشاعر :

« تقلدتني الليالي وهي مدبرة كأنني صارمٌ في كف منهزم »

وقد ضرب النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف أربعة أمثال ، مثالين للمؤمن ، ومثالين للمنافق ، فالمثال الأول هو (المؤمن الذي يقرأ القرآن) وقد شبهه بالأترجة في طيب الباطن والظاهر (ريحهـا طيب وطعمها طيب) والمثال الثاني (للمؤمن الذي لا يقرأ القرآن) وشبّهَهُ (بالتمرة) في طيب الباطن دون الظاهر ، فالباطن جميل يشبه حلاوة التمر باعتبار وجود الإيمان في قلبه ، وأما الظاهر وهو (طيبُ الرائحة) فمفقود لأن التمر لا ريح له . والمثال الثالث (للمنافق الذي يقرأ القرآن) وشبّهه (بالريحانه) في طيب الظاهر وفساد الباطن ، فالريح طيب والطعم مُرٌّ علقم قال الشاعر :

« كالرّمسِ غطّته الزّهورُ وتحته عفِنٌ دفينُه »

وأما الرابع فهو (المنافق الذي لا يقرأ القرآن) وشبّهه (بالحنظلة) في خبث الظاهر والباطن ، وهذا شرُّ أنواع النفاق أعاذنا الله منه .

الشرح الأدبي :

مع جمال الأسلوب الحكيم ، وروعة التشبيه النبوي الكريم ، يستروح المؤمن برد الايمان واليقين ، مع نسمات الرضوان تهبُّ عليه وهو يتلو آيات القرآن الكريم .. وهناك يخشع قلبه ، وتدمع عينه ، ويشع من حوله النور والضياء ، وصدق الله (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء) .

لم يكن هذا الكتاب الإلهي « المعجِزُ » إلا تذكرة للنفوس الحائرة وانقاذاً للقلوب الجامدة البائسة ، التي لا تفهم إلا لذائذ الحياة وشهواتها الدنيئة ، وإخراجاً للناس من الظلمات إلى النور .!! فيه يتصل العبد

الضعيف بإلهه وخالقه ، وفيه يستنزل رحمته ، وفيه يهتدي لأقوم سبيل وأحسن طريق (إنَّ هذا القرآنَ يهدي للتي هي أقومُ ، ويبشّر المؤمنين الذين يعملون الصالحاتِ أن لهم أجراً كبيراً) وفي هذا الحديث الشريف ، قسّم النبي الكريم الناس إلى أربعة أقسام :

١ – مؤمن يقرأ القرآن ويعمل بما فيــــه فهو في أعلى المراتب والدرجات .

٢ – ومؤمن لا يقرأ القرآن ولكنّه مصدّق بما فيه فهو ناقص الإيمان .

٣ – ومنافق يقرأ القرآن ولكنّه لا يعمل بما فيــــه فهو ضال لا يهتدي بهدي الله .

٤ – ومنافق لا يقرأ القرآن ولا يدري ما فيــــه فهو في أحط الدرجات وأشقى المنازل .

فقد شبّه عليه الصلاة والسلام الصنف الأول (بالأترجة) وهي الفاكهة الطيبة ، ذات الريح العاطر الذي ينعش النفس ويبهج القلب بحلاوتهـا وطيبها ، وقد كانت معروفة عند العرب قال الشاعر :

« يحملن أترجّةً نضحُ العبير بها كأنَّ تطيابها في الأنف مشمومُ »

وفي التعبير بقوله ﷺ : (ريحها طيب وطعمها طيب) إشارة إلى بلوغ درجة الكمال في طيب الباطن والظاهر .

والصنف الثاني : شبّهه ﷺ بالتمرة في طيب الباطن لوجود الإيمان دون الظاهر لهجرِه تلاوة القرآن ، فالباطن جميل يشبه حلاوة التمر ، وأما الظاهر وهو (طيب الرائحة) فإنه مفقود لأن التمرة لا ريح لها .

والصنف الثالث : وهو (المنافق الذي يقرأ القرآن) فقد شبّهه صلوات الله عليه بالريحانة في الظاهر ، وفساد الباطن ، فالريح طيب والطعم مرٌّ علقم ، وهذه المرارة إنما جاءت من النفاق ، وليس في

الحديث ما يدل على المديح والثناء لهذا الصنف بل على العكس هو ذم لأنه ذكره باسم النفاق

والصنف الرابع : وهو أشر الأصناف وأخبثها وأبعدها عن الله عز وجل فهو ذلك (المنافق) الذي شبهه عليه الصلاة والسلام بـ (الحنظلة) في خبث الظاهر والباطن ، فهو قد جمع الشرّ من أطرافه ، فلله ما أروع هذا التشبيه !!. وما أجمل تصويره في النفس !!

وبهذا التشبيه الرائع من هدي سيد المرسلين ، يرشدنا صلوات الله عليه الى فضائل تلاوة القرآن (وخاصة في شهر رمضان) شهر الرحمة والرضوان ، ويحثُّ المؤمنين على الإكثار من تلاوته ليبقى قلب الإنسان مستنيراً بنور الله مسترشداً بهدي هذا الكتاب المقدس الذي قال عنه منزله :

[لو أنزلنا هذا القرآنَ على جبلٍ لرأيتهُ خاشعاً مُتصدّعاً من خشية اللهِ وتلكَ الأمثالُ نضربها للناسِ لعلّهم يتفكرون] .

اللهم إنا نسألك أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنـــا ، وشفاء نفوسنا ، وضياء أبصارنا ، اللهـــم ارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار انك سميع مجيب الدعاء .

* * *

« فتنة الدنيـا »

الحديث الثالث عشر :

عَنْ أبي سَعيدٍ الخُدْرِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْـــهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ :

[إنَّ الدُّنيا حُلْوةٌ خَضِرةٌ ، وإنَّ اللهَ مُستَخْلِفُكُمْ فيهـــا فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلَونَ ، فاتَّقُوا الدُّنْيَا واتَّقُوا النِّسَاءَ ، فإنَّ أوَّل فِتْنَةِ بَني اسْرائِيلَ كانَتْ في النِّساءِ] .

« رواه مسلم »

الأبحاث العربية :

الدنيـــا : اسم لهذه الحيـــاة التي يعيشها الانسان على سطح هذا الكوكب الأرضي ، وهي مشتقة من الدنوّ لقربها الينا وقرب انتهائها ، أو من الدناءة لحقارتها وخسّتها عند الله قال تعالى [وما الحياةُ الدنيا إلا متاعُ الغرورِ] وقال تعالى [وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب] وفي الأثر : (الدنيا دار من لا دار له ، ولها يجمع من لا عقل له) .

حلوة خضرة : أي ذات حلاوة ، وذات اخضرار ، فالحلاوة تدرك بالذوق ، والخضرة تدرك بالنظر وكلاهما مرغوب فيه ، فإنّ النفس البشرية تشتهي من الفاكهة والطعام ما كان حلو الطعم ، جميل المنظر ، فاذا اجتمعت (الحلاوة والخضرة) كانت الرغبة أعظم ، والميل اليها أكبر فهي بهجة النفس وقرّة العين .

مستخلفكم فيها : استخلفه جعله خليفةً عنه ، فالانسان كالوكيل عن الله عزّ وجل في هذه الحياة ، فلا يصح أن يتصرف إلا كما يأمره الباري تبارك وتعالى لأنه وكيل وليس بأصيل. قال تعالى [وهو الذي جعلكم خلائفَ الأرض] وقال تعالى [يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض] وقيل المعنى : جعلكم خلفاء عمّن كان قبلكم من الأمم فالانسان يخلف الانسان ، والأمة تخلف الأمة .

اتقوا الدنيا : أي اجتنبوا فتنتها ، واحذروا من كيدها ، ولا تغتروا بها فتشغلكم عن طاعة الله وتلهيكم عن ذكره كما قال تعالى [يا أيُّها الذينَ آمنوا لا تُلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون] .

واتقوا النساء : أي احذروا فتنتهن واغواءهن فإن فتنتهن عظيمة وكيدهن كبير ، وكما روى عن علي رضي الله عنه انه قال (يتظلّمْن وهنّ الظالمات ، ويتمنعنّ وهنّ الراغبات ، فاستعيذوا بالله من شرارهنّ وكونوا على حذرٍ من خيارهن) وفي الحديث الشريف (ما تركت بعدي فتنةً أضرّ على الرجال من النساء) .

الأبحاث النحوية :

١ - (إن الدنيا حلوة خضرة) إنّ حرف توكيد ونصب ، الدنيا اسمها منصوب ، و(حلوة) خبر إنّ مرفوع و (خضرة) خبر ثانٍ .

٢ - (إن الله مستخلفكم) لفظ الجلالة اسم « إنّ » والخبر هو (مستخلفكم) وهو مضاف والضمير (الكاف) مضاف إليه .

٣ - جملة (كيف تعملون) مفعول بـه لينظر أي ينظر عملكم وينظر صنيعكم .

٤ - (فاتقوا الدنيا) الفـاء هنا تسمى (فاء الفصيحة) والمعنى اذا كان الله مراقباً لعملكم ومطلعاً على صنيعكم فاتقوه في ذلك .

الأبحاث البلاغية :

١ - قوله (انّ الدنيا) جملة خبرية ، والغرض من هذا الخـبر (التنبيه) الى فتنة الدنيا ، وهو من النوع الطلبي لأنه مؤكد بـ (إنّ) .

٢ - قوله (حلوة خضرة) استعارة مكنية فقد شبه الدنيا بالفاكهة الحلوة الخضراء ، وحذف المشبه به وهو الفاكهة ، ورمز اليها بشيء من لوازمها وهي (الحلاوة والخضرة) على سبيل الاستعارة المكنية .

فالدنيا كالفاكهة الخضرة التي راق منظرها ، وحلا مذاقها ، وقد جمعت بين الوصفين المحبوبين الى النفس (الحلاوة والخضرة) فإن الحلو مرغوب فيه من جهة الذوق ، والخضرة مرغوب فيها من جهة النظر .

٣ - قوله (فاتقوا الدنيا) جملة انشائية طلبية ، العامل فيها الأمر ، والأداة فعل الامر ، والغرض منها (التحذير) الى خطر هذه الحياة ، وتكرار كلمة (اتقوا) يفيد الاهتمام والمبالغة .

٤ – قوله (فإن أول فتنة) جملة خبرية مؤكدة بإنّ وهي من الضرب (الطلبي) والغرض من الخبر إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى (فائدة الخبر) وهذه الجملة كالتعليل لما تقدم من الاحكام .

الشرح الأدبي :

في هذا الحديث الشريف نفحة من نفحات القُدُس ، ولمسة من لمسات الجمال ، وإبداع في التصوير فوق ما يتصوره الخيال ، فما أبدع هـذا التعبير ، وما أجمل ذلك التصوير الذي مثّل به الرسول الكريم ﷺ لهذه الحياة الدنيا الزائلة !!

ولا عجب أن نرى تلك الاشراقـة المضيئة ، والقبس المنير في هـدى سيد المرسلين ، فلقد دانت له الفصاحة ، وانقـادت له البلاغة ، فكان له منها الحظ الوفير ، وأعطي جوامع الكلم ، فكان أفصح من نطق بالضاد ، وأعظم من دعا الى الهدى والرشـاد وبهذا التوجيه النبوي الكريم يلفت النبي ﷺ انتباهنا ، ويوجّـه أنظارنا إلى سبيل الخير والسعادة ، ويحذّرنا من فتنة الدنيـا ، وشهوات الحياة .. فهذه الدنيا كم خدعت من أناس ، وكم فتنت من خلائق ؟ اغتروا بها ، وفتنوا بما فيها ، فأوردتهـم موارد الهلاك ، وجرّعتهم كؤوس الحسرة والندم ، فلم ينـالوا منها الا التافه ، ولم يجنوا منها الا الحقير ، فهي دار الغرور يغتر بها الجاهلون ، ويركن اليهـا الغافلون ، وما أجمل تصوير القرآن الكريم لهذه الحياة الفانية حيث قال تبارك وتعالى عنها [إعلموا أنمّا الحياة الدنيا لعبٌ ولهو وزينـةٌ وتفاخر بينكم وتكاثر في الاموال والاولاد كمثل غيثٍ أعجب الكفار (أي الزّراع) نباتـه ثم يهيج فتراه مصفراً ، ثم يكون حطامـاً ، وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ، وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور] ولقد وضّح الرسول بهديه الكريم قيمة هذه الدنيا حتى لا يغترّ بهـا

المؤمنون فقال صلوات الله عليه : (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها جرعةماء). وكذلك كانت حياته ﷺ زهداً في الدنيا ، وإعراضاً عنها ، فكان يأكل الخشن من الطعام ، ويلبس اليسير من الثياب وينام على الحصير ، حتى دخل عليه بعض الصحابة يوماً فوجدوه نائماً على حصير وقد أثر في جنبه الشريف فرقّوا لحاله ، ورثوا لشأنه فقالوا يا رسول الله لو اتخذنا لك وطاءً (أي فراشاً) فقال : مالي وللدنيا ؟ ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظلّ تحت شجرة ثم راح وتركها ..

ولقد ختم الرسول ﷺ هذا الحديث الشريف بالنصح والإرشاد والتحذير من أمرين عظيمين هما : « فتنة الدنيا ، وفتنة النساء » فقال: (فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) ثم علّل ذلك بأن أوّل بلاء حلّ على بني اسرائيل ، وأول فتنة حصلت لهم إنما كانت بسبب شهوات الحيـاة وفتنة النساء ، فليس هناك فتنة أخطر من فتنة النساء وصدق رسول الله ﷺ حيث قال : (ما تركتُ بعدي فتنةً أضرَّ على الرجال من النسـاء) .

فياله من توجيه عظيم وارشاد كريم دلنا عليه رسول الهدى والرحمة ، اللّهُمّ ارزقنا محبته ، ووفقنا الإقتداء بهديه الكريم إنك سميع مجيب الدعاء .

***

« المعركة الفاصلة »

الحديث الرابع عشر :

عنْ أبي هُريْرةَ رَضِيَ اللهُ تعالى عنهُ عن النبيِّ ﷺ أنه قَالَ :

(لاَ تَقُومُ السَّاعةُ حتَّى يُقاتِلَ المُسْلِمونَ اليهودَ ، فَيَقْتُلَهُمُ المُسْلِمُونَ ، حتَّى يَختبِيءَ اليَهُودِيُّ وَرَاءَ الحجَرِ والشَّجَرِ ، فَيقولُ الحجَرُ والشَّجَرُ : يا مُسلمُ ، يا عَبدَ اللهِ ، هَذا يهوديٌّ خَلْفِي تعَالَ فاقْتُلْهُ ، إلاَّ الغَرْقَدَ فإنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ) .

« رواه مسلم »

الأبحاث العربية :

لا تقوم الساعة : أي لا تنتهي الدنيا ولا تقوم القيامة ، حتى تقع الحرب العظيمة بين المسلمين واليهود ، وهذا من أمور الغيب التي أخبر عنها الصادق المصدوق .

يقاتل المسلمون : فيه إشارة إلا أن الحرب ستكون حرباً (دينية مقدسة) لا حرباً قومية ، أو وطنية ، لأن تخصيص المسلمين بقتالهم

يدلُّ على أن هذه الحرب ستكون بين أصحاب (العقيدة الحقة) من المؤمنين وبين (اليهود) الضالين وسيكون النصر حليف الفئة المؤمنة ، فالرسول ﷺ لم يقل حتى يقاتل العربُ اليهودَ وإنما وضّح بأنّ الحرب تقع بين المسلمين واليهود ، وأنّ الله عز وجل سيكرمُ عبـاده المؤمنين بالنصر على عدوّهم .

فيقول الحجر : أي ينطقُ اللهُ عز وجـل الحجر الذي وقف وراءه اليهودي ، وينطق الشجر الذى اختبأ خلفه ، وذلك كرامة من الله تعالى لعباده المؤمنين المجاهدين .
وكلامُ الحجر أو الشجر آية من آيات الله الباهرة ، وهو (حقيقة) لا مجاز والله على كل شيء قدير .

الغرقـــد : شجر له شوك عظيم يكثر في أرض فلسطين وهو من الأشجار الخبيثة التي تشبه اليهود في خبثهم وصفاتهم الذميمة ولهذا قال (فإنه من شجر اليهود) .

الأبحاث البلاغية :

١ ـ قوله (لا تقوم الساعة) : جملة خبرية من النوع الابتدائي ، وفائدة الخبر هنا (البشارة) بانتصار المسلمين على اليهود ، فالخبر قد خرج عن معناه الأصلي الى المعنى المذكور .

٢ ـ قوله (وراء الحجر والشجر) : بين لفظ (الحجر) و (الشجر) جناس يسمى (الجناس الناقص) كما يوجد في الجملة (سجع) وكلاهما من المحسّنات البديعية .

٣ ـ قوله (فإنه من شجر اليهود) : جملة خبرية مؤكدة بإنّ فهي من الضرب

(الطلبي) والمراد إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمّى (فائدة الخبر).

٤ – قوله (إلا الغرقد فإنّه من شجر اليهود) فيه تشبيه يسمى (التشبيه الضمني) أي ان هذا الشجر خبيث كخبث اليهود ، لذلك فإنه لا ينطق ستراً على اليهودي .

والتشبيهُ الضمنيُّ يكون التشبيه فيه (تلميحاً) لا (تصريحاً) كقول الشاعر :

« فإنْ تفقِ الأنام وأنتَ منهم فإنَّ المسكَ بعضُ دم الغزال »

وكقول المتنبي :

« من يَهُنْ يسهلِ الهوانُ عليه ما لجرحٍ بميّتٍ إيلامُ »

الشرح الأدبي :

وفي هذه الآونة الحرجة من حياة العرب والمسلمين ، بعد أن استولى شُذّاذ الآفاق على جزء كبير من فلسطين ، واحتلوا أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وعاثوا في الأرض فساداً ، وبعد أن شعر المسلمون بفداحة الكارثة وعظم المصيبة ، وتجرّعوا كؤوس الحسرة والأسى ، وذاقوا طعم الذل والهوان ، بعد هـذا تأتي بشائر النصر ، ومواكب الخير والنور ، تبشر بعودة الديار السليبة التي اغتصبها الصهاينة المجرمون ، وبانتصار الحق المهان وعودته إلى أصحابه – أصحاب العقيدة الراسخة – من المجاهدين المسلمين الذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً .!

إنها لبشارة عظيمة من نبيٍّ صادق عظيم ، تأتي في هذه الفترة العصيبة التي تكاد تأخذ بالخناق ، والتي يشعر فيها كل مسلم بالأسى يعتصر قلبه ، والحزن يحيط به من كل جانب ، فلا يستطيع أن يتنفّس ، ولا يستطيع ان يبتسم ، ومن حوله إخوة له في العقيدة والدين مشرّدون .. وفي هذه الآونة العصيبة تأتي بشارة الرسول ﷺ بأن الدنيا لا يمكن ان تزول حتى تقع المعركة الفاصلة بين المسلمين واليهود ، التي ينتصر فيها جند الرحمن على جند الشيطان ،

وتكون فيها الغلبة لعباد الله المؤمنين تصديقـــاً لقوله تعالى (وإنّ جندنا لهم الغالبون) وقوله جل ثناؤه (وكان حقاً علينا نصر المؤمنين).

وإذا كانت فلسطين قد ضاعت ، وإذا كانت القدس قد ذهبت، بسبب تآمر أعداء الإسلام عليها ، وتعاون بعض الخونة معهم، مما أدّى إلى ضياع فلسطين وذهاب المسجد الاقصى ، فإنّ الرسول عليه الصلاة والسلام ليبشّرنا هنا في هذا الحديث الشريف بأن المعركة لم تنته بعد ، وأن النهاية ستكون بانتصار الإسلام والمسلمين ، وستظهر بعض العجائب والأمور الخارقة في ذلك الحين ، حيث يتكلم الجماد ، وينطق الشجر والحجر ، فيقول : يا مسلم يا عبد الله ، هذا يهودي ورائي تعال فاقتله ، إلا ذلك الشجر الخبيث الذي يشبه اليهود في خبثهم ولؤمهم ألا وهو شجر (الغرقد) فإنه لا ينطق إذا اختفى وراءه أحد من اليهود .

وهنا نقطة هامة ينبغي التنبُّه لها .. وهي أننا ما خسرنا المعركة ولا أضعنا فلسطين إلا حينما دخلنا المعركة بغير عقيدة ، وقاتلنا تحت شعار (العصبيّة) الجاهلية وتركنا شعار (الدين) .

وأننا لن نستعيد فلسطين إلا بالايمان الصافي ، والعقيدة الصادقة والإنضواء تحت راية الإسلام وراية الدين ، فهذا هو الذي سيحقق لنا النصر بمشيئة الله عزّ وجل ، وهذا هو الذي أشار إليه الحديث الشريف ، فذِكرُ كلمة (المسلمين) وتكرارُها يدل على أنّ النصر سيكون لأصحاب العقيدة الحقة لأولئك الذين جعلوا إعلاء كلمة الله نصب أعينهم ، والجهاد في سبيله هو غايتهم وهدفهم ، لا تلك الدعوات البرّاقـة التي ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب ، ولا تلك الشعارات المزيّفة التي كانت سبباً في نكبتنا وخسارتنا ، وإنا لله وإنا اليه راجعون .

* * *

« شعب الايمان »

الحديث الخامس عشر :

عن أبي هُريرةَ رضي اللهُ عنهُ أنّ رسُولَ الله ﷺ قالَ :
« الإيمَانُ بِضْعٌ وسَبْعُونَ أو بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعْبَةً ، فأفضَلُهَا قَوْلُ لاَ إلَهَ إلاَّ اللهُ ، وأدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَى عَنِ الطَّرِيقِ ، والحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَانِ » .

« رواه البخاري ومسلم »

الأبحاث اللغوية :

بضع : البِضع بكسر الباء من ثلاثة الى تسعة قال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام . [فلبث في السجن بِضع سنين] وأما بالضم فالمراد منه الجماع والشهوة قال ﷺ : (وفي بُضع أحدكم صدقة) وتتمة الحديث : قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر ؟ قال أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر ؟ فكذلك اذا وضعها في الحلال كان له أجر .

أو بضع وستون: (أو) : للشك ، والشك إنما جاء من الراوي وهو

(أبو هريرة) ولما كان الحديث النبوي مروياً باللفظ ويخشى الراوي الزيادة فيه أو النقص منه جاء بصيغة (أو) الإشارة إلى أنه متردد في سماعه من النبي ﷺ هل قال (بضع وسبعون) أو (بضع وستون) شكٌّ فيه الراوي .

شُعْبَـــة : الشعبة : الخصلة والقطعة من الشيء أي الجزء منه والمراد من الحديث الشريف أن الايمان بضع وسبعون خصلةً أو جزءاً ، وأن الحياء أحد هذه الأجزاء والخصال .

قال (ابن حبان) : (عددت كل طاعة عدها الله في كتابه والنبي ﷺ في سنته فإذا هي تسع وسبعون لا تزيد ولا تنقص فعلمت أنه المراد) ورأيُ أكثر المحدّثين أنها تسع وسبعون لا تسع وستون .

لا إله إلا الله : هذه الجملة مكونة من لفظـــين أحدهما سلبي والآخر إيجابي ، فالجزء الأول منهـــا (لا إله) هو السلبي وهو نفي الألوهية نفياً باتاً عن كل مخلوق ، والجزء الثاني (إلا الله) هو الايجابي وهو إثبات الألوهية لله وحده دون سواه والمعنى (لا معبود بحق الا الله تعالى) .

وأدناهـــا : أي أدونها قدراً وأقلها شأناً ، يقال أدنى الشيء بمعنى أقله وأحقره ، وأدني الشيء بمعنى أقربه قال الشاعر العربي:

لولا العقـــولُ لكان أدنى ضيغـمٍ
أدنى الى شرفٍ مـــن الإنسانِ

إماطة الأذى : أي دفع الأذى وازالته عن الطريق كرفع حجر أو تنحية شيء ضار تنزلق عليه الأقدام .

الحيـــاء : هو لغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب

عليه ، وفي الشرع هو : خُلقٌ يبعث على اجتناب القبيح الذي يمقته الله سبحانه ويكرهه .

الأبحاث النحوية :

الإيمان مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة ، خبره (بضع وسبعون) ولفظة (شعبةً) تمييز منصوب بالفتحة الظاهرة وهو من نوع تمييز العـــدد .. (فأفضلها) خبر لشرط محذوف تقديره : إذا كان الإيمان ذا شعب عديدة فأفضل هذه الشعب قول (لا إله إلا الله) ذكره صاحب دليل الفالحين . ويصح وجه آخر وهو (أفضل) مبتدأ والهـاء مضاف اليه و (قول لا إله إلا الله) هو الخبر وإعراب (لا إله إلا الله) لا نافيـة للجنس تعمل عمل إنّ و (إله) اسمها والخبر محذوف تقديره لا إله معبودٌ بحق ، وإلا أداة حصر ، ولفظ الجـلالة بدل من الخبر (عن الطريق) الجار والمجرور متعلق بإماطة . (والحياء شعبة) مبتدأ وخبر ، و (من الايمان) جار ومجرور متعلق بشعبة .

الأبحاث البلاغية :

١ – قوله (الايمان بضع وسبعون) جملة خبرية الغرض منها إفـادة الحكم الذي تضمنته الجملة ، ويسمّى (فائدة الخبر) .

٢ – قوله (فأفضلها قول لا إله إلا الله) جملة خبرية الغرض منهـا (التشويق) والترغيب إلى هذه الخصلة الحميدة .

٣ – بين لفظ (أعلاها وأدناها) كما ورد في الرواية الأخرى (طباق) .

٤ – قوله (والحياء شعبة من الايمان) جملة خبرية الغرض منهـــا الترغيب والتشويق إلى تلك الخصلة الحميدة خصلة (الحياء) .

ترجمة راوي الحديث :

مرت ترجمته معنا في الأحاديث السابقة واسمه (عبد الرحمن بن صخر الدّوسي) وهو من أكابر الصحابة ، ومن الحفـاظ الثقات المجيدين للحفظ والضبط ، ونزيد هنـــا في الترجمة ذكر قصة إسلام أمّه رضي الله عنها ودعوة الرسول ﷺ له ولأمه ، وما ورد في هذه القصة من معجزة للرسول الكريم في استجابة دعائه عاجلاً . يقول أبو هريرة رضي الله عنه :

(كنت أدعو أمي إلى الاسلام فتأبى عليّ ، فدعوتها يوماً إلى الإسلام فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره (أي أنها شتمت الرسول ونالت منه) قال فذهبت إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكي من شدة الحزن والألم ، فلما رآني قال : مالك يا أبا هريرة ؟ قلت يا رسول الله : كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى عليّ فدعوتها اليوم . فأسمعتني فيك ما أكره ، فادع الله أن يهدي قلبها للاسلام فقال النبي ﷺ : اللهم اهد قلب أم أبي هريرة للاسلام .

قال فخرجت مستبشراً بدعوة رسول الله ﷺ فلما وصلت البيت أردت الدخول فقالت على رِسْلك يا أبا هريرة ، قال : وسمعت خشخشة الماء فلبِستْ ثوبها ثم فتحت لي الباب وهي تقول (أشهد ألاّ إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) قال : فرجعت إلى رسول الله ﷺ وأنا أبكي من شدة الفرح فقلت يا رسول الله أبشر فقد استجيبت دعوتك وهدى الله أمّ أبي هريرة للإسلام فحمد الرسول ربه وأثنى عليه ، فقلت يا رسول الله ادع الله لي ولأمي أن يحبّبنا إلى المسلمين ويحبّب المسلمين الينا فدعا له الرسول الكريم قال فما رآني أحـد ولا سمع بي مؤمن ولا مؤمنة إلا أحبّني أنا وأمي .

الشرح الأدبي :

في هذا الدين العظيم الذي جاء بـه سيد الأولين والآخرين ، آداب اجتماعية ، ومثل إنسانية ، وأخلاق رفيعة ، تجعله – بحق – مفخرة الأديان ، وأعجوبة الأزمان ، ورائد جميع التشريعات السماوية ، والنظم

الأرضية ، بما يحقق الخير ، والعدل ، والسعادة لبني الأنسان ، فما من فضيلة من الفضائل ، ولا مكرمة من المكارم ، ولا صغيرة أو كبيرة من الآداب الاجتماعية الحميدة إلا دعا إليها الدين ، ورغب فيها الإسلام ، وان شئت فقل : (انـــه دين الآداب والأخلاق) بل انه دين الحياة بأسرها لأنه دين الفضائل والكمالات .

فالايمان ليس مجرد اعتقاد بالله ، أو خوف من عقابه ، انما هو عقيدة وعمل ، ونظام وأدب ، وخلق واستقامة ، فهو درجات متعددة ، ومنازل متفاوتة ، يَبدأ بالنطق بكلمة الاخلاص (كلمة التوحيد) لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وينتهي بدفع الأذى عن طريق المسلمين .. فلله ما أسمى هذا الدين الذي يجعل من الايمان بالله طريقاً الى الإحسان إلى خلقه ، ويجعل من تمام العقيدة دفع الأذى عن طريق المسلمين ؟!.

وحقاً إنه لممّا يرفع رأس المسلم عاليـــاً أن يأتي تشريـع الإسلام بمثل هذه النظم الرفيعة والآداب الكريمة ، وأن ينص نبيه الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم على أن من مراتب الإيمان ومن خصال اليقين أن يزيل المسلم الأذى عن الطريق ، وأن يكون متصفاً بمكارم الاخلاق ، فيستحيي الحياء المطلوب ، ويبتعد عن سفاسف الأمور ، فيكون في نفسه تقياً ، ومع الناس حييّاً ، فالحياء لا يأتي إلا بخير لأنه شعبة من شعب الايمان ، وخصلة من خصال الدين ، وقديماً قال الشاعر العربي :

« فلا والله ما في العيش خير : ولا الدنيا إذا ذهب الحياء »
« يعيش المرء ما استحيا بخير : ويبقى العود ما بقي اللحاءُ »

وليس الحياء — الحقيقي — أن يكون الإنسان كثير الخجل يستحيي من المطالبة حق من حقوقه المشروعه ، ولكنّ الحياء أن يجتنب القبيح ، ويبتعد عن الرذائل ، ويطهر نفسه من الرجس والآثام وأن ينفر من عمل ما يعاب عليه ، وقـد وضّح هذا المعنى قول النبي ﷺ في حكمه الروائع : « إذا لم تستحِ فاصنعْ ما شئتَ » .

* * *

« غنى النفس »

الحديث السادس عشر :

عن عَمْرو بن عَوْفٍ الأنْصاريّ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قالَ للأنْصارِ ذَاتَ يومٍ[1] :

[أبْشِرُوا وأمِّلُوا ما يسُرُّكم ، فواللهِ مَا الفَقْرَ أخْشَى عَليكُمْ ، ولكنيّ أخْشَى أنْ تُبْسَطَ الدُّنيَا عَليْكُمْ كما بُسِطتْ على مَنْ كانَ قبلَكُم ، فتنافَسُوهَا كما تَنَافسُوهَا فتهلكَكُمْ كما أهْلَكَتْهُمْ] .

« متفق عليه »

الأبحاث العربية :

أبشروا : من البشارة وهي الاخبار عما يسرُّ ويُفرح ، على عكس الإنذار فهو الإخبار عما يسوء ويضر ، فالبشارة تستعمل للخير ، والإنذار للشر ، أما قوله تعالى [فبشّرهم بعذابٍ إليم] فهو من الأسلوب التهكمي .

وأمّلوا : أمر من الأمل بمعنى الطمع والرغبة فيما يحب ويشتهي ،

(١) انظر رياض الصالحين ص ١٩٢ .

وفي هــذا اللفظ تطمين لنفوس الانصار بالحصول على مقصودهم من توسعة النبي ﷺ عليهم بما رزقه الله .

تُبسطالدنيا : البسط في اللغة نشر الشيء وتوسعته ، والمراد من بسط الدنيا أن يوسّع عليهم في الرزق يقال بسط الله عليــه الرزق أي وسّعه قال تعالى [ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض] .

الدنيــا : مأخوذة من الدنوّ أي القرب فهي بالنسبة للآخرة قريبة ، أو من الدناءة بمعنى الحقارة لأنها بالنسبة للآخرة حقيرة لا قيمة لها وفي الحديث الشريف [لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها جرعة ماء] وقال تعالى [وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور] .

فتنافسوها : التنافس هو التسابق إلى أمر من الأمور ومنه قوله تعالى [وفي ذلك فليتنافس المتنافسون] والمراد أن الناس يتسابقون لجميع حطام الدنيــا وفي ذلك هلاكهم ، وهو مضارع حذف منه أحد التاءين تخفيفاً فأصلها (تتنافسوها) وهذا مثل قوله تعالى (تنزّل الملائكة) أي تتنزّل .

فتهلككم : أي يكون التنافس في الدنيا سبباً للانشغال عن الآخرة كما يكون من وراء التنافس التحاسد ثم التباغض وفي هذا هلاك للبشر كما هلك السابقون بسبب تكالبهم على الدنيا .

سبب الحديث الشريف :

لهذا الحديث الشريف قصة ذكرها المحدّثون في كتب الحديث وهي أن النبي ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه إلى البحرين يأتي بجزيتها (أي بجزية أهلها لأن أهلها كانوا مجوساً) فقدم بمال من البحرين

فسمعت الأنصار بقدوم (أبي عبيدة) فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ فلما صلى رسول الله ﷺ انصرف فتعرضوا له ، فتبسَّم رسول الله ﷺ حين رآهم ثم قال : أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدم بشيء من البحرين فقالوا أجل ، فقال أبشروا وأمّلوا ما يسرُّكم .. الخ .

الابحاث البلاغية :

١ — (أبشروا وأملوا ما يسركم) انشاء طلبي والمراد بالأمر هنا (المؤانسة) فقد خرج عن أصله وهو الوجوب الى معنى آخر وهو الإكرام وإدخال المسرة الى القلب .

٢ — في اللفظ أيضاً (ابشروا وأملوا) ما يسمى في علم البديع (بمراعاة النظير) وهو الجمع بين أمرين أو أمور متناسبة تزيد الكلام رونقاً وجمالاً فهنا لفظ (أملوا) متناسب جداً مع (ابشروا) .

٣ — (فوالله ما الفقر أخشى عليكم) جملة خبرية لإفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى [فائدة الخبر] وقد جاء مؤكداً بالقسم [فوالله] وفيه أيضاً من الناحية البلاغية [تقديم ما حقه التأخير] للعناية به والاهتمام والأصل [والله ما أخشى عليكم الفقر] .

٤ — في لفظ [ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم] مقابلة لطيفة فإن الفقر يقابله الغنى وهو المعبَّر عنه بلفظ [تبسط الدنيا] أي تفتنوا وبَسْطُ الدنيا المراد منه سعة الرزق فهو [كناية] عن الغنى .

٥ — [فتنافسوها كما تنافسوها] فيه تشبيه يسمى [مرسلاً مجملاً] أي تتسابقون الى الدنيا كما تسابق من قبلكم من الأمم [فتهلككم كما أهلكتهم] وفي هذا أيضاً تشبيه كسابقه اي فتكون سبباً لإهلاككم مثل ما أهلكت من سبقكم بحبهم للدنيا وتكالبهم عليها .

الأبحاث النحوية :

١ – [أمّلوا ما يسركم] أملوا فعل أمر مبني على حذف النون والواو فاعل [ما يسركم] مـا اسم موصول بمعنى الذي مفعول به ، [ما الفقرَ] ما نافية والفقر مفعول مقدّم و [عليكم] متعلق بأخشى [أن تبسط] أن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول به و [الدنيا] نائب فاعل .

ترجمة راوي الحديث :

روى الحديث هو [عمرو بن عوف الأنصاري] البدري حليف بني عامر بن لؤي ، أصله من المدينة المنورة وقد نزل مكة وحالف بعض أهلها فهو أنصاري المولد لأنه من أهل المدينة ومهاجري لأنه هاجر مع الصحابة بعد اقامته الطويلة بمكة المكرمة ، وقد شهد بدراً مع رسول الله ﷺ فهو من أهل بدر اتفاقاً ، أخرج ابن الأثير في أسد الغابة عن ابن اسحاق أنه قال : ممن شهد بدراً [عمرو بن عوف] مولى [سهيل بن عمرو] وقال هكذا جعله ابن اسحق مولى وجعله غيره حليفاً ولم يكن له عقب [أي نسل وذرية] وروايته للأحاديث الشريفة قليلة رضي الله عنه وعن سائر أصحاب رسول الله أجمعين ، ونسأله تعالى أن يجمعنا بهم في مستقر رحمته آمين .

الشرح الأدبي :

رضي الله عن أصحاب رسول الله – ﷺ – فقد كانوا رجالاً وأبطالاً تربوا في « مدرسة الأيمان » مدرسة محمد عليه الصلاة والسلام ، فـلم تشغلهم الدنيا ، ولم تفتنهم زينة الحياة !! لقد كانوا مـع شدة فقرهم وقلة ما لديهم من مالٍ ، وشدة حاجتهم ، واضطرارهم ، أعزة النفوس ،

أعفّاء كرماء كما وصفهم الله سبحانه وتعالى في كتابة العزيز حيث قال : [للفقراءِ الذين احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضرباً في الأرض يحسبهم الجاهلُ اغنياءَ من التعفّفِ تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً ..] الآية .

هاهم أولاء — رضوان الله عليهم — يسمعون بقدوم أبي عبيدة رضي الله عنه ، من البحرين بمال عظيم بعــد أن فتح الله على المسلمين البلاد ، فيوافون رسول الله ﷺ في صلاة الفجر يؤدون الصلاة معه ، وحين يعزم الرسول على الدخول الى بيته يتعرض اليه هؤلاء الفقراء بأدب ووقار .. لا يسألونه أن يقسم عليهم المال ، فقد كان الحياء يمنعهم مــن ابداء حاجتهم واضطرارهم حتى لرسول الله ﷺ ... يتعرضون له كأنهم يريدون السلام عليه ، ولكنّ الرسول عليه أفضل الصلاة والتسليم يدرك — بقوة البصيرة — غرضهم ، ويعرف هدفهم فيبتسم لهم ابتسامة الرضى والاطمئنان ، ويبشرهم بحصول مطلوبهم فيقول « أبشروا وأمّلوا » ...

إنها لتربية كريمة وتوجيه سليم ، وجّه النبي ﷺ أصحابه اليه فهو في هــذه الحالة لا يترك إسداء النصح لهم ، ولا يقصّر في توجيههم الوجهة الصحيحة فيلفت أنظارهم بكلامه العذب الجميل إلى معانٍ سامية رفيعة ينبغي ألاّ تغيب عنهم ، وألاّ يغفلوا عنها ، وهي أنّ هذه الحياة الدنيا بما فيها من زخرف ومتاع ، وبما تحويه من زينة وبهرج ، لا تستحق ان يشقى الإنسان من أجلها وينصب . بل عليه أن يأخذ منها ما يكفيه وأن يهتم بما يكون سبباً لسعادته في الآخرة .. فالإنسان مهما جمع من مال وكدّس من ثروة ، تبقى نفسه متطلعة الى المزيد وصدق رسول الله ﷺ حيث قال :

« لو كان لابن آدم واديان مــن ذهب لابتغى لهما ثالثاً ، ولن يملأ فم ابن آدم الا التراب ، ويتوب الله على من تاب » ..!

وما أكرم هـذا التوجيه النبوي الخالد ، الزاخر بالحكم والمواعظ [ابن آدم .. عندك ما يكفيك وأنت تطلب ما يطغيك .. ابن آدم لا بقليل تقنع ، ولا بكثير تشبع .. ابن آدم إذا أصبحت معافى في بدنك آمناً في سِرْبكَ (أي أهلك ووطنك) عندك قوت يومك ، فعلى الدنيا العفاء] .

فالعاقل ينبغي ألاّ يشغل نفسه بالشيء التافه ويترك الشيء النفيس ، فكل ما في هذه الحياة الدنيا من متع وشهوات ، ومن فتنٍ ومغريات ، ومن زينة وبهرج ، ليس طريقاً لسعادة الإنسان ، لان السعادة الحقيقية ليست بالأملاك والقصور ، ولا بالذهب والفضة ، ولا بالمتاع والرياش إنما هي في تقوى الله ، وغنى النفس ، وراحة الضمير ، وما أحسن ما قيل

« ولست أري السعادة جمع مال ولكن « التقيّ » هو السعيد »

ومن الشعر الاسلامي الحديث قوله :

« تقوى الإله إذا تخالط مهجةً تُروي القلوب الظامئات وتُعتق »

« إنّ التقيّ يعيش في كنف المنا فاذا أردتم ان تفوزوا فاتقوا »

« فيها لقلبكَ بهجةٌ وسكينةٌ وبها لعقلك راحـــة وتألق »

* * *

« محنة المؤمنين »

الحديث السابع عشر :

عن خَبَّابِ بنِ الأرتْ رضيَ اللهُ عنهُ أنّهُ قَالَ :

(شَكَوْنَا إلى رَسولِ الله ﷺ وهوَ مُتوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ في ظلِّ الكَعْبَةِ فَقلْنا : ألا تَسْتَنصِرُ لَنَا ؟ ألاَ تدعُو لنَا؟ فقال ﷺ : قَدْ كَانَ مِنْ قَبْلَكُم يُؤخذُ الرَّجلُ فَيُحْفَرُ لهُ في الأرضِ فَيُجْعلُ فيها ، ثُمَّ يُؤتَى بالمنشارِ فَيُوضَعُ على رأسِهِ فيجعلُ نِصْفَيْنِ ، ويُمْشطُ بأمشاطِ الحديدِ مَا دُونَ لحمِهِ وعَظْمِهِ ما يَصُدُّهُ ذَلِكَ عنْ دينِهِ ، واللهِ ليتمنَّ اللهُ هَذَا الأمرَ حتَّى يَسيرَ الراكبُ من صنعاءَ إلى حضرموتَ ، لا يَخافُ إلاَّ اللهَ ، والذئبَ على غَنمِهِ ، ولَكنَّكُمْ تَسْتَعْجلون).

« رواه البخاري »

وجاء في رواية أخرى (وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكينَ شِدَّةً).

الأبحاث العربية :

متوسّد بردة : توسّد الشيء : أي جعله وسادة تحت رأسه ، والبُرْدة : الشمْلة المخطّطة وقيل : كساء أسود مربّع ، والمعنى أن النبي ﷺ جعل بردتـــه الشريفة وسادة تحت رأسه من أجل الراحة والنوم في ظلّ الكعبة ، ويظهر أنه كان في حالة تعب .

ألا تستنصر لنا : أي تسأل الله النصر لنا على الأعداء ، لأن الألف والسين تفيدان الطلب .

من قبلكم : المراد به المؤمنون من الأمم السابقة الذين تحمّلوا الأذى في سبيل الله كأتباع عيسى بن مريم .

ما يصدّه : أي ما يمنعه ويصرفه عن دينه تحمل ذلك العذاب بل كان الواحـــد يصبر حتى ولو نشر بالمنشار ، أو مُشِط بأمشاط الحديد وذلك دليل على قوة الإيمان في قلبه .

هذا الأمر : المراد من الأمر هنا (الإسلام) أي لا بدّ أن يتم أمر الاسلام وتعلو دعوة الحق وينتشر هذا الدين في بقاع الأرض حتى يكون الأمن والأمان وقد حدث كما أخبر ﷺ .

تستعجلون : أي تطلبون العجلة في الأمور ولكل شيء في عـــلم الله أوان ، فإذا حان الوقت جاءت نصرة الله كما قال تعالى (وكانَ حقاً علينا نصرُ المؤمنين) وقال تعالى (ألا إنّ نصرَ الله قريبٌ) .

الابحاث النحوية :

١ - (شكونا) فعل وفاعل ، (إلى رسول الله) الجـار والمجرور متعلق بشكونا

٢ — (وهو متوسّد) مبتدأ وخبر والجملة حاليّـــة ، (بردة) مفعول به لاسم الفاعل (متوسّد) .

٣ — (ألا تستنصر) ألا أداة استفتاح يستفتح بها الكلام ، وأصلها (هَلاَ) قلبت الهاء همزة ليتمّين معنى التمّني ، و (تستنصر) مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم .

٤ — (قد كان من قبلكم) قد : للتحقيق و (كان) فعل ماضٍ ناقص واسمها هو الموصول (مَنْ) وخبرها جملة (يؤخذ الرجل... الخ)

٥ — (فيجعل نصفين) مضارع مبني للمجهول ، و (نصفين) مفعول به ثانٍ ، ونائب الفاعل هو المفعول الأول .

٦ — (ولكنّكم تستعجلون) لـــكنّ حرف استدراك ونصب و (الكاف) الضمير اسمها وخبرها جملة (تستعجلون) .

الأبحاث البلاغية :

١ — قوله (شكونا إلى الرسول) جملة خبرية من الضرب الابتدائي ، والغرض من الخبر (طلب الاسترحام) والإستعطاف ، فقد خرجت الجملة عن غرضها الأصلي إلى ما ذكرنا .

٢ — قوله (ألا تستنصر لنا) جملة انشائية من نوع (الإنشاء الطلبي) وهو يشمل (الأمر ، والنهي ، والاستفهام ، والتمنيّ ، والنداء) وهذا الاستفهام خرج عن معناه الأصلي إلى التمنيّ ، وأصل (ألاَ) هلا كما تقدم .

٣ — قوله (يؤخذ الرجل) الرجل هنا (كناية) عن المؤمن أو المؤمنة من أتباع الرسل السابقين ، وهو (كناية عن موصوف) .

٤ — قوله (هذا الأمر) الأمر هنا (كناية) عن دين الإسلام الذي جاء به خاتم المرسلين ﷺ .

٥ - قوله [والله ليتمنّ] جملة خبريّة من الضرب [الإنكاري] لوجود القسم ولام التأكيد .

ترجمة راوي الحديث :

راوي الحديث هو الصحابي (خبّاب بن الأرتّ) يكنى (أبا عبدالله) وهو تميمي النسب من السابقين إلى الاسلام ، كان سادس من أسلم من الصحابة ، وعُذّب في سبيل دينه عذاباً شديداً فقد كان مملوكاً لامرأة مشركة تسمى (أم أنمار) فلما بلغها إسلام عمّار كانت تأتي بقطعة من الحديد فتحميها في النار حتى تحمّر فتكوي بها رأسه وجسده لتردّه عن دينه فشكى ذات يوم أمره إلى النبي ﷺ فقال رسول الله اللهم انصر خبّاباً ، فاشتكت مولاته (أم أنمار) رأسها حتى كانت تعوي من شدة الألم مثل الكلاب ، فقيل لها لا يمكن لك أن تتخلصي من الألم حتى تكتوي بالنار (آخر الدواء الكي) فكان خبّاب يأخذ الحديدة المحماة فيكوي بها رأسها وقد سأل (عمر) رضي الله عنه خباباً عما لقي من المشركين فكشف له خباب عن ظهره ففزع عمر وقال ما رأيتُ كاليوم ظهرَ رجل ، فقال له خباب يا أمير المؤمنين لقد أوقدت نار من أجلي ووضعت عليها فما أطفأها إلاّ ودك (أي شحم) ظهري ، فرقّ عمر لحاله ودمعت عينه لما أصاب خباباً رضى الله عنه قال علي كرّمه الله [رحم الله خباباً ، أسلم راغباً ، وهاجر طائعاً ، وعاش مجاهـداً ، وابتلى في جسده ، ولن يضيّع الله أجر من أحسن عملاً] .. وكان خباب رضي الله عنه قيناً (أي حداداً) يصنع السيوف والدروع فكان له عند (العاص بن وائل) دين فلما جاء يتقاضاه (أي يطلب دينه) قال له : لا أعطيك حتى تكفر بمحمد وتعود إلى اللات والعزّى ، فقال له خباب : لا أكفر حتى يميتك الله ثم يبعثك (يعني تموت ثم تبعث أمامي الآن) فقـال له العاص بن وائل : إني اذاً لميّت ثم مبعوث !؟

فانتظرني الى ذلك اليوم فسوف أعطى مالاً وولداً فأقضيك حقك فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة (أفرأيت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتينَّ مالاً وولداً أطلعَ الغيب أم اتخذ عند الرحمنِ عهداً) توفي خباب سنة (٣٧) هـ ودفن بالكوفة رضي الله عنه وأرضاه .

الشرح الادبي .

في رحاب البيت الطاهر ، ومع نسمات الصباح الباكر ، وبجوار الكعبة المشرفة ، جلس رسول الهدى والرحمة محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه ، جلس يريد الراحة ، وتوسّد بردة له في ظلال الكعبة ، بعد أن امتدت الشمس ، فسطعت بأشعتها الذهبية على العالم ، وأنارت بضيائها الوجود .. استلقى رسول الله ﷺ بفناء الكعبة يريد الراحة ، بعد طول جهد وتعب .. ولكنْ سرعان ما جاء اليه المستضعفون من المؤمنين ، يشكون اليه شدة المشركين ، وبطشهم بهم ، وظلمهم واضطهادهم .. جاءوا يطلبون من الرسول الكريم النصرة على الأعداء .. وأنْ يدعو الله لهم لينقذهم من شر أولئك الكفرة الفجرة ، أعداء الدين .. الذين عذّبوهم ، واضطهدوهم ، وآذوهم في أنفسهم وأموالهم ، بسبب دخولهم في دين الله الحق ، الذي جاء به خاتم النبيين .!

لقد جاء هؤلاء المؤمنون المستضعفون ، يستنجدون ويستنصرون ، يريدون من رسول الله أن يدعو على المشركين ، بدعوة يعجّل الله لهم بها العذاب .. وهنا يجلس الرسول الكريم يعطي هؤلاء المظلومين درساً في (الثبات) و (الصبر) على العقيدة والمبدأ .. ويضرب لهم الأمثال بالسابقين من المؤمنين ، يذكّرهم بما أصاب إخوانهم في العقيدة والدين .!

لقد نشروا بالمناشير ، وأحرقوا بالنار ، ومشطوا بأمشاط الحديد ،

ونالهم من البلاء والشدائد ، مـا لا يخطر ببال ، ومع ذلك لم تضعف عزيمتهم ، ولم تستسلم نفوسهم للذل والهوان ، ولم تؤثر فيهم تلك الشدائد والمحن ، بل ظلوا على الايمان ، مستمسكين بدين الله ، مضحين بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله ، وابتغاء رضوانه .. صبروا على العذاب ، وتحملوا البلاء ، ووقفوا في وجه الطغيان حتى نصرهم الله (فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله ، وما ضعفوا وما استكانوا ، والله يحب الصابرين .)

لقد أعطاهم الرسول ﷺ درساً بليغاً ، وبشَّرهم بعد هذا الدرس ، بانتصار الدعوة الإسلامية ، وظهور هذا الدين العظيم على سائر الأديان ، حتى يعمّ مشارق الأرض ومغاربها ، فلن يستطيع الطغيان أن يقضي على دعوة الايمان ، مهما تطاول أو تجبّر ، فإنّ جند الله هم الغالبون

ولقد صدق رسول الله ﷺ فيما بشّر عنه وأخبر ، حيث بدّل الله تبارك وتعالى خوف المسلمين أمناً ، وذلهم عزاً ، وضعفهم قوة ، حتى سادوا العالم ، وملكوا الدنيا ، وانقاد لهم الناس طوعاً وكرهاً ، وعم الأمن والرخاء أرجاء المعمورة ، وأعز الله المؤمنين المستضعفين ، وارتفعت راية الحق ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً .. وكان ذلـــك بفضل جهاد المؤمنين السابقين ، الذين صبروا على تحمل الأذى في سبيل الدعوة وصدق الله : حيث يقول (وإنّ جُندنا لهم الغَالبونَ) .

* * *

« عقوق الامهات »

الحديث الثامن عشر :

عن المغيرةِ بنِ شُعْبَةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ :
« إنَّ اللهَ حَرَّمَ عليكمْ عُقُوقَ الأُمَّهاتِ ومَنْعاً وهَاتِ ، ووأْدَ البناتِ ، وكَرِهَ لكُمْ قيلَ وقال ، وكَثْرَةَ السُّؤالِ ، وإضَاعَةَ المالِ . »

« رواه البخاري »

الأبحاث العربية :

(عقوق الأمهات) : مصدر عقَّ إذا عصى وأساء المعاملة قال حافظ :

عقَّني الدهرُ ولولا أنني
أوثرُ الحُسْنَى عققْتُ الأدَبا

والأمهات جمع (أُمّه) وهي خاص بمن يعقل ويقال أُمّاه) قال تعالى : (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم).
وأما لفظ (الأم) فإنه يشمل من يعقل ومن لا يعقل

(منعاً وهات) : أي يمنع ما وجب عليه من حق للغير ، ويطلب ما لا حق له فيه ، كالشخص الذي يمتنـع عن وفاء الدين ، ويطلب إعطاءه حقوق الآخرين . فهو ظالم معتد من وجهين : ١ – لأنه مانع للحق الواجب عليه . ٢ – مغتصب لما ليس له بحق ، قال تعالى (ويمنعون الماعون) .

(وأد البنات) : أي دفنهن على قيد الحياة ، وقد كان هذا من صنيع أهل الجاهلية قال تعالى :
(وإذا المؤودة سئلت . بأي ذنب قتلت ؟)
وقال تعالى :
(أيمسكُهُ على هُونٍ أم يدسُّه في التراب ؟ ألا ساء ما يحكمون) .
وأول من وأد البنات (قيس التميمي) حين أسرت ابنته ثم أُطلق سراحها فوأدها تخلصاً من العار ، وأول من فدى الموءودة (صعصعة) جد الفرزدق وفيه يقول الفرزدق :

« وجدي الذي منع الوائدات
وأحيا الوئيد فلم توأدِ »

(قيل وقال) : أي كثرة الكلام أو الجدل بالباطل ، وهذا من نوع اللغو المنهي عنه . قال تعالى :
(والذين هم عن اللغو معرضون) قال الجوهري : (قيل وقال) ، اسمان بدليل دخول (أل) التعريف عليها يقال : كثر القيل والقال .

..

(كثرة السؤال) : المراد أن يسأل عما لا يعنيه قال تعالى (لا تسألوا عن أشياء إنْ تُبْدَ لكم تسؤكم) . أو المراد معارضة أوامر الرسل الكرام ففي الحديث (إنما أهلك من قبلكم كثرة مسائلهم واختلافهم على أنبيائهم) .

(إضاعة المال) : تبذيره وصرفه في الوجوه المحرمة كشرب الخمر ، ولعب الميسر وغير ذلك مما حرّمه الله تعالى .

الأبحاث النحوية :

١ – (إن الله حرّم) إنّ حرف توكيد ونصب ، ولفظ الجلالة اسمها ، وجملة حرّم عليكم في محل رفع خبر إنّ ، و (عليكم) الجار والمجرور متعلق بحرّم .

٢ – (منعاً وهاتِ) منعاً مصدر مَنَع وهو في محل نصب مفعول به معطوف على (عقوق) و (هاتِ) اسم فعل أمر بمعنى أعطني .

٣ – (قيل) مفعول به لفعل (كره) فهي اسم ومثلها (قال) كما تقدّم .

الأبحاث البلاغية :

١ – قوله (منعاً وهات) فيه (طباق ايجاب) وهو من المحسنات البديعية والطباق أن يجمع بين لفظين متقابلين في كلام واحد فلفظة (هات) بمعنى أعطني تقابل لفظة المنع في قوله (منعاً) .

٢ – قوله (عقوق الأمهات ، ووأد البنات) فيه من المحسّنات البديعية ما يسمى بالسجع ومثله (قيل وقال ، وإضاعة المال) فيه

سجع قال في جواهر البلاغـــة : ولا يستحسن السجع إلا إذا كانت المفردات رشيقة ، والألفاظ خدم للمعاني ، وإلا اذا جاء عفواً ، خالياً من التكلف والتصنع ، وحينئذ يكون حلية ظاهرة في الكلام .

٣ – قوله (كره لكم قيل وقال) جملة خبرية من الضرب الابتدائي والغرض من الخبر إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجمـــلة ويسمى (فائدة الخبر)

الشرح الأدبي

يهتم الإسلام بتربية أفراده على أساس من الفضيـــلة والخلق القويم ، ويهتم كذلك بتنشئة الجيل الإسلامي تنشئة عالية تبعد عنه روح الانحلال والميوعة وتدفع به الى معالي الأمور . ولهذا نجد في هذا الحديث النبوي الشريف سمو الغاية ، ونبل الدعوة ، وقدسية الهدف الذي يسعى اليه الإسلام من أجل أن يبقى أفراده مجتمعين ، متماسكين متعاونين ، تحكمهم المحبة ، وتربطهم الأخوة ، ويجمعهم الإسلام في إطاره الإنساني الرحيم ، إطار المحبة والمودة والإخاء . فالرسول الكريم يبين في هـــذا الحديث الشريف الأمور التي يكرهها الله ويبغض أن يرى عليها عباده .

وأول هذه الأمور أن يسيء الإنسان إلى أولى الناس بالرعاية ، وأحقهم بالعناية ، ألا وهي (الأم) ، الأم التي حنت عليه فغذته بلبانهـــا ، وغمرته بحنانها ، وآثرته على نفسها وراحتها ، فشقيت من أجل راحته ، وتعبت من أجل سعادته ، وتحملت الأثقال والآلام في سبيل أن ترى وليدها زهرة يانعة تعيش بين أزهار الربيع ، فكم من ليلة سهرت من أجل راحته ، لتطرد عنه شبح الخوف ، أو تزيل عنه ألم المرض ، وكم من ساعة قضتها بين جدران البيت تحمله على يديها ، متعبة مثقلة لتواسيه

في وقت شدته ومحنته ، فهل يليق به بعد كل هذا أن يسلك طريق العقوق أو يجنح الى الإساءة والعصيان ؟! وصدق الله حيث يقول : [حَمَلَتْهُ أمه كُرْهاً ووضَعَتْهُ كُرهاً وحَمْلُهُ وفصَالُهُ ثلاثون شَهْراً ..] وذلك لعظم حقها على ولدها ، وضخامة شأنها إذ هي السبب المباشر في حياة هذا الطفل بعد الله عز وجل – فلولا رعايتها وحنانها ، ولولا تحملها المتاعب والآلام في سبيل تربية هذا الوليد الناشيء – لما تربّى طفل ولما عاش إنسان !! فلا عجب اذاً أن نرى العناية بالأم تبلغ ذروتها وأن تصل الى درجة أن يقول فيها الرسول الكريم (الجنة تحت أقدام الأمهات) .. فمن أولى من الأم بالتعظيم والتكريم ؟؟

وأما الأمر الثاني : الذي ينبغي اجتنابه فهو ان يكون الانسان ظالماً يمنع ما وجب عليه من حق ، ويطلب ما ليس له به حق ، فهذا هو عين الظلم والعدوان ، الذي عبّر عنه رسول الله ﷺ بقوله (ومنعاً وهات) فهناك تكاليف مالية وتكاليف اجتماعية واجبة على الانسان ، عليه أن يؤديها على الوجه المطلوب فاذا منعها كان ظالماً .

وأما الأمر الثالث : مما يبغضه الله ويحرمه الدين فهو ذلك الأمر الشائن المتناهي في القبح والإجرام ألا وهو (وأد البنات) فقد كان عادة شائعة عند العرب في أيام الجاهلية فمنهم من يَئِد ابنته تخلصاً من العار ، ومنهم يَئِدها خشية الفقر ، ومنهم من يَئِدها سفهاً وحماقة حيث كانوا يقولون : « الملائكةُ بنــات الله فألحقوا البناتِ بالبنات » وفي أمثال هؤلاء يقول القرآن الكريم : (قد خسرَ الذينَ قتَلُوا أولادَهُم سَفَهاً بغيرِ علمٍ) .

وأما الأمر الرابع : الذي حذّر منه الرسول الكريم والذي يبغضه الله ويمقته فهو كثرة القيل والقال ، وكثرة الجدل والخصام ، فكثرةُ الكلام

تجر الى الوقوع في المعاصي والمحرمات وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله : (والذينَ هُمْ عَنِ اللغْوِ مُعْرِضُون) .

وأما الأمر الخامس : فهو كثرة السؤال عما لا يعني الانسان وعما ليس منه فائدة ، فالمؤمن يشتغل بما يهمه ويدع ما لا يعنيه وقد قال صلوات الله عليه (منْ حسنِ إسلام المرء تركُه ما لا يعنيه) .

وأخيراً فإنّ النبي ﷺ ينهي عن تبذير المال وصرفه في غير الوجوه المشروعة ، فإنّ ذلك يدعو الى الحسرة والندم ، ويدفع بالانسان الى ذل السؤال كما قال تعالى : (ولا تجعل يَدَكَ مَغلولة إلى عنقك ، ولا تبسطها كلّ البسط فتقعد ملوماً محسوراً) .

***

« الكاسيات العاريات »

الحديث التاسع عشر

عَنْ أبي هُرَيْرَة رَضِيَ اللهُ عنهُ ، عنِ النبي ﷺ أنَّهُ قال : (صِنْفَانِ مِنْ أهْلِ النَّارِ لَمْ أرَهُما : قَوْمٌ مَعَهُم سِيَاطٌ كأذْنَابِ البَقَرِ يَضرِبُونَ بِها النَّاس .. ونِساءٌ كاسِياتٌ عارِيَاتٌ ، مَائِلاَتٌ مُمِيلاَتٌ ، رُؤُسُهُنَّ كأسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ ، لاَ يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ ، ولا يَجِدْنَ رِيحَها ، وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيْرَةِ كَذَا وكَذَا .. وفي رِوَايةٍ أُخْرَى : وإنَّ رِيحَها لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمسِمائةِ عامٍ) .

« رواه مسلم »

الأبحاث العربية :

صنفان : أي فئتان وفريقان مثنّى صنف بمعنى الفريق والجماعة وفي الأثر : (صنفان إذا صَلَحا صَلَح الناس ، وإذا فَسَدا فسد الناس : العلماء والأمراء) .

لم أرهما	: المراد أنهما لم يكونا في زمانه ﷺ ، وأنهما سيحدثان في المستقبل ، وفيه معجزة للرسول الكريم حيث أخبر عن أمور مغيبة ، وقد وقعت كما أخبر الصادق المصدوق .
سياط	: جمع سوط وهو الجلد المضفور وهو آلم من العصا ، وقد يراد بالسَّوط أنواع وضروب العذاب. قال تعالى : (فصبَّ عليهم ربكَ سَوْطَ عذاب) .
كاسات عاريات	: المعنى كاسيات في الصورة ، عاريات في الحقيقة ، لأنهن يلبسن ملابس شفّافة رقيقة لا تستر جسداً ولا تخفي عورة ، والغرض من اللباس إنما هو الستر قال تعالى (لباساً يواري سوآتكم) فاذا لم يستر اللباس كان صاحبه عارياً .
مائلات مميلات	: أي يتبخترن في مشيتهنَّ بقصد الفتنة والاغراء ، فهنَّ (مائلات) في مشيتهنَّ (مميلات) لقلوب الرجال بخلاعتهنَّ ، يتصنّعْنَ الدلال ، ويتقصّدن إثارة الرجال ، وهذا من عمل الفاجرات والعياذ بالله .
كأسنمة البخت	: أصل السَّنام : الشيء المرتفع ، وسمّي القتب الذي على ظهر الجمل (سناماً) لأنه مرتفع ، (والبُخْت) الإبل ، والمرادِ أنهنَّ يصفّفن شعورهن فوق رؤوسهن حتى تصبح مثل سنام الجمل ، أو تصبح كأنها شاهق من الجبل .

الأبحاث النحوية :

(صنفان) صنفان مبتدأ وخبره جملة (لم أرهما) وجوّز الابتداء

به مع أنه نكرة لأنه موصوف فهو كقول ابن مالك (ورجل من الكرام عندنا) .

(قوم) خبر لمبتـــدأ محذوف تقديره أحدهما قومٌ ، وجملة (معهم سياط) صفة لقوم وجملة (يضربون) صفة لسياط .

(رءوسهن) مبتدأ وهو مضاف و (كأسنمة البخت) الجار المجرور في محل رفع خبر .

الأبحاث البلاغية :

١ – قوله (سياط كأذناب) فيه تشبيه يسمّى (مرسلاً مجملاً) أما أنه مرسل فلوجود أداة التشبيه ، وأمّا أنه مجمل فلأنّ وجه الشبه غير مذكور وهو الغلظ والمتانة أو الإيلام والشدة

٢ – قوله (رءوسهن كأسنمة) فيه أيضاً تشبيه يسمّى (مرسلاً مجملاً) كسابقه وذلك لوجود أداة التشبيه ، وحذف وجه الشبه .

٣ – قوله (كاسيات عاريات) و (مائلات مميلات) فيـــه من المحسّنات البديعية ما يسمّى بـ (السّجع) وفي الجملة الأولى (طباق) وهو أيضاً من المحسّنات البديعية .

٤ – قوله (لا يدخُلنَ الجنّة) جملة خبريةٌ غرضُها (التحذير والتخويف)

الشرح الأدبي :

معجزة من معجزات الرسول الكريم تظهر في هذا الزمان ، الذي كثر فيه الفساد ، وظهرت فيـــه الميوعة والانحلال ، وانتشر التعري والتكشف بين النساء باسم المدنية ، وباسم التحرر ، وباسم تطور الزمان ،

فلم يعد هناك وازع من دين أو وجدان ، وإنا لله وإنا اليه راجعون . فالرسول الكريم – وهو الصادق المصدوق – يخبر عن أهل النار ، ويخص بالذكر منهم صنفين من البشر :

الصنف الأول : الظلمة الذين يعتدون على خلق الله وعباده بالضرب والإهانة والتعذيب والتنكيل ، لا عن استحقاق بل لمجرد حب التعالي والظهور ، وإشباع نفوسهم المتعطشة إلى سفك الدماء ، وتعذيب الأبرياء ، والله تبارك وتعالى يقول (إنّ الذينَ فتنُوا المؤمنينَ والمؤمناتِ ثم لم يتوبوا فلهمْ عذابُ جهنَّم ولهمْ عذابُ الحريق) .

ولقد صوّر الرسول الكريم هؤلاء الظلمة وكأنه يشاهدهم ويراهم وهم يعتدون على الناس .. صوّرهم ومعهم تلك السياط الغليظة التي تشبه أذناب البقر في غلظها ومتانتها ، أو في قسوتها وألمها ، وهم ينهالون على الناس ضرباً وتعذيباً ، وتنكيلاً وتشريداً ، لا يرحمون أحداً لضعفه ، ولا يقدّرون شخصاً لجاهه ، بل هم يعتدون على الجميع بدون استثناء ، وهذا ما ظهر في هذا الزمان وانتشر على أيدي الزبانية ، من أعوان الحكام الجائرين ، الذين لا يخشون الله ، ولا يحسبون حساباً لذلك الموقف الرهيب « يوم يقوم الناس لرب العالمين » .

أما الصنف الثاني : فهنّ النسوة الفاجرات اللواتي خالفن تعاليم الدين وآداب الإسلام فخلعن ملابسهن ، وكشفن عن سواعدهن وأفخاذهنّ ، ولبسن الملابس الرقيقة التي لا تستر جسداً ، ولا تخفي عورة ، وإنما تزيد في الفتنة والإغراء ، ومشّين مشية فيها التخنث والتكسر ، وفيها لفت أنظار الرجال

ولقد صوّر عليه أفضل الصلاة والتسليم هؤلاء النسوة وهنّ يتبخترن في الشوارع والطرقات ، ويتسكّعن في الأسواق والمنتديات ، ليس لهنّ

عمل إلا إغواء الرجال ، وإفساد الشباب والمراهقين ، صوّرهنّ بصورة من تتقصّد إثارة الفتنة ، وإغراء الرجل ، حتى ليخيلّ الى الناظر أنها — بهذه المشية الخليعة — تدعوه إلى نفسها، وتراوده من أجل عمل الفاحشة بها وهذا هو معنى قوله ﷺ : (مائلات مميلات) أي أنهن مائلات في مشيتهن مميلات لقلوب الرجال يقصدن بإثارة الشهوة في قلوبهم ، ثم عدّد الرسول الكريم من قبائحهن بأنهنّ يصفّفْنَ شعورهن حتى يصبح شعر الواحدة منهن مثل سنام الجمل في الارتفاع ، وقد وضعت عليه أنواع الزينة ، وصبغته بأنواع من الأصباغ المغرية ، وكدّسته فوق رأسها كأنه شاهق من الجبل ، أو سدّ عال من سدود الصين .

وقد ختم عليه الصلاة والسلام هذا الحديث الشريف بما يفزع له قلب الانسان فقال : « لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها » ...

وأي عذاب أشد من هذا العذاب أن يحرم الانسان الجنة ونعيمها وألاّ يجد ريحها أبداً مع أنّ ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام اللهم احفظنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن إنك سميع مجيب الدعاء .

* * *

« دعاة على أبواب جهنم »

الحديث العشرون :

[عَنْ حُذَيفةَ بنِ اليمانِ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّهُ قَالَ : كانَ النَّاسُ يسالونَ رسُولَ اللهِ ﷺ عنِ الخيرِ وكُنتُ أسألُهُ عن الشرِّ مَخافَةَ أن يُدرِكني ، فقلتُ يا رسولَ اللهِ إنّا كنّا في جاهِليةٍ وشرٍّ فجاءَنا اللهُ بهذا الخيرِ ، فهل بَعدَ هذا الخيرِ من شرٍّ ؟ قَالَ : نعمْ ، قلتُ وهلْ بعدَ ذلكَ الشرِّ من خيرٍ ؟ قالَ : نعمْ وفيهِ دَخَنٌ !! قلتُ : وما دَخَنُه ؟ قالَ : قومٌ يهدونَ بغيرِ هَدْيٍ تَعْرِفُ منهم وتُنْكِرُ ، قلتُ : فَهَلْ بعدَ ذلكَ الخيرِ من شرٍّ ؟ قَالَ : نعمْ ، دُعَاةٌ على أبْوابِ جَهنَّمَ مَنْ أجابَهُمْ اليها قذفُوهُ فيها قلتُ صِفْهمْ لَنَا ، قالَ : هُمْ من جِلْدتِنَا ويتكلَّمونَ بالسنَتِنَا !! قلتُ فما تَأمرني إنْ أدركني ذلك ؟ قَالَ : تلزَمُ جماعةَ المسلمينَ وإمامَهم ، قلتُ : فإنْ لم يَكنْ لهمْ جماعةٌ ولا إمامٌ ؟ قَالَ ؟ فاعتزِلْ تِلكَ الفِرَقَ

كلُّها ولَوْ أنْ تعضَّ بأصلِ شَجرةٍ حتَّى يدركَكَ الموتُ وأنتَ على ذَلِكَ] .

« رواه البخاري ومسلم والترمذي »

الأبحاث العربيـــة :

جاهلية : المرادُ بالجاهلية حياة (الشرك والوثنية) التي كان عليها العرب قبل الإسلام ، وسميت جاهلية من الجهل بمعنى السَّفه والحماقة قال (عَمرو بن كلثوم) :

« ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا
فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا

وقـــال تعالى . (وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ الأُولَى) وعصرنا اليوم هو (عصر الجاهلية) بكل مظاهرها لأنـه عصر الرجوع إلى الفوضى ، والتحلل الخلقي ، والفساد الاجتماعي بشتى صوره وأشكاله .

دَخن : الدَّخنُ مثل الدخان ، وهو مـا يخرج من النار إذا ألقي عليها حطب رطب ، قال ابن الأثير في النهاية : وقد يطلق الدخن ويراد منه الكدر وهو أن يكون في لون الدابة كدورة إلى سواد ، ومنه هـذا اللفظ في الحديث الشريف أي أنَّ الخير ليس خالصاً ولا صافياً بل فيه كدر لأن ظاهره غير باطنه .

بغير هَدْي : أي بغير علم ولا بصيرة ، وبغير اتباع لهدْي الأنبياء الكرام صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

تعرف وتنكر . المعنى تجد فيهم بعض أمور تتفق مع الشرع فتقرّهم عليها ، وتجد أموراً أخرى منكرة لا يقبلها الشرع ولا العقل فتنكرها عليهم ، فهم قد (خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً) .

دعـــاة . الداعي قسمان داع إلى الهدى ، وداع إلى الضلال ، فالأنبياء يدعون الناس إلى طريق الهداية والرشاد ، والشيطان وأعوانه يدعونهم إلى الغي والفساد قال تعالى عن سيد الرسل (وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً) والمراد من قوله (دعاة على أبواب جهنم) أي أنهم يدعون الناس إلى الضلالة ، ويصدّونهم عن الهدى بأنواع من الخبث والمكر والخداع .

جلدتنـــا : المراد أنهم منا وأنهم من عشيرتنا ويتكلمون بألسنتنا فهم ليسوا أجانب ولا غرباء عنـا ، ولكنهم خبثاء يقولون مالا يفعلون ، ويبطنون مالا يظهرون .

الأبحاث النحوية :

قوله (كان الناس يسألون) كان : فعل ناقص ، والناس اسمهـا وجملة (يسألون) خبرها . قوله (مخافة أن يدركني) مخافة : مفعول لأجله منصوب بالفتحة الظاهرة ، (وأن يدركني) أن وما بعدها في تأويل مصدر مضاف إليه والتقدير مخافـة إدراكه لي . قوله (وفيه دخن) الجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر مقدّم ، ودخنٌ مبتدأ مؤخر . قوله (قوم يهدون بغير هدي) قومٌ : خبر لمبتدأ محذوف تقديره (هم قوم) وجملة يهدون من الفعل والفاعل في محل رفع صفة لقوم لأنّ الجمل من بعد النكرات صفات

قوله (هم من جلدتنا) ضمير منفصل مبتدأ و (من جلدتنا) هو الخبر أي هم من أبنائنا ومن جماعتنا

الأبحاث البلاغية :

١ – قوله (كان الناس يسألون) الخ جملة خبرية الغرض منها إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى (فائدة الخبر) .

٢ – قوله (عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر) بين لفظي (الخير والشر) طباقٌ وهو أن يجمع بين لفظين متقابلين في المعنى ، وهذا النوع يسمى (طباق الإيجاب) وكذلك في قوله (تعرف منهم وتنكر) طباق أيضاً ، والأول طباق في الاسم ، وهذا طباق في الفعل . وهذا النوع مما يتعلق بعلم البديع .

٣ – قوله (هم من جلدتنا) كناية عن أنهم من العرب المسلمين فهم ليسوا أجانب عنا إنما هم عشيرتنا وملتنا . قوله (تعضّ بأصل شجرة) هو كناية عن شدة الحرص على اعتزال الفرق الضالّة والتمسك بالدين كما يعضُّ الواحد على الشيء الذي يحرص عليه كل الحرص ومثله قوله ﷺ في الحديث الآخر (عضُّوا عليها بالنواجذ) .

ترجمة راوي الحديث :

هو (حُذَيْفَةُ بنُ اليمانِ) العَبسيُّ ، يكنى أبا عبد الله ، واسم والده (حُسَيْل بن جابر) وُلد حذيفة بالمدينة المنورة وأسلم هو وأبوه (اليمان) وحين وقعت غزوة بدر خرج حذيفة مع أبيه يريدان شهود بدرٍ مع رسول الله ﷺ فمنعهما المشركون ، يقول حذيفة : (ما منعني أن أشهد بدراً إلا أني خرجت مع أبي فأخذَنا كفار قريش فقالوا إنكم تريدون محمداً ، فقلنا ما نريده فأخذوا منا عهد الله وميثاقه لننصرفنّ إلى المدينة

ولا نقاتل معه ، فأتينا رسول الله ﷺ فأخبرناه بذلك فأمرنا بالانصراف والرجوع ، وقد شهد حذيفة وأبوه (اليمان) غزوة أحد ، فاستشهد والده هناك قتله أحد المسلمين وهو يحسبه من المشركين .

كان حذيفة من كبار الصحابة وهو (صاحب السر) وقد كان معروفاً بين الصحابة بأنه صاحب سر رسول الله ﷺ حتى كان عمر رضي الله عنه يسأله عن المنافقين ، وكان ينظر إليه عند موت من يموت منهم فإن لم يشهد جنازته حذيفة لم يشهدها عمر ، وكان حذيفة يقول [خيّرني رسول الله ﷺ بين الهجرة والنصرة فاخترت النصرة] أي اختار أن يكون أنصارياً وقد شهد حذيفة فتوح العراق وشهد (نهاوند) وفتح همدان والري وتوفي سنة ٣٦ هـ بعد مقتل عثمان رضي الله عنه .

الشرح الأدبي :

اختص بعض الصحابة الكرام ببعض الخصوصيات ، فكان منهم صاحب سر رسول الله ﷺ وهو (حذيفة بن اليمان) رضي الله عنه وأرضاه ، وهذا الصحابي الجليل لم يكن ليقنع من هذا الدين العظيم ، بالسؤال عن أمور الهدى والرشاد ، بل تعداه إلى السؤال عما يهم المسلمين ، فكان يسأل رسول الله ﷺ عن المنافقين ، وعن أوصافهم ، وأعمالهم والرسول ﷺ يطلعه عليهم وينبئه عن أحوالهم وصفاتهم حتى لم يكن أمر المنافقين ليخفى عليه وكان كبار الصحابة يأتون اليه ويسألون عما حدثه به الرسول الكريم من أمور تتعلق بالساعة ، وبالفتن ، وبالمنافقين فكان يخبرهم عن ذلك ، وكان عمر رضي الله عنه لشدة خوفه من الله وخشيته من النفاق يأتي إلى حذيفة فيقول له أسألك بالله هل عدّني رسول الله من المنافقين ؟ وفي هذا الحديث الشريف يقص علينا حذيفة رضي الله عنه قصة اختصاصه بمعرفة بعض الأمور المغيبة من أمور الساعة ، والفتن

وأخبار المنافقين فيقول : كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني .. ومن هنا يتبين لنا سرُّ خصوصيته بمعرفة اسماء المنافقين وصفاتهم فقد كان حريصاً على معرفة دعاة السوء والضلال ومعرفة الشر والفساد ليتجنبهم ويجتنب دعوتهم .

ومن خلال هذا الحديث الشريف يتراءى أمامنا جلياً واضحاً تلك الفئة الضالة التي باعت نفسها للشيطان فوقفت تدعو النـاس إلى الضلال وإلى جهنم ، وليست هـذه الزمرة من (دعـاة الضلال) هم من الأجانب البعيدين عن الدين ، من غربيين أو شرقيين ، إنما هم كما وصفهم الرسول الكريم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا .. إنهم ممن يزعمون الإسلام ثم يحملون معاول لهدمه ، ويجهدون أنفسهم لإطفاء نوره ، ويفعلون مـا لا يفعله الأعداء ، وما أكثر هؤلاء الضالين في هذا الزمان الذين يغيّرون شريعة الله ويهزءون بأحكام الدين ، ويقتلون علماء المسلمين ، ثم يفعلون من الفظائع ما تشيب له الرؤوس ، ويرتكبون من الجرائم ما تقشعرُّ له الأبدان ، ويدّعون بعد ذلك أنهم حماة الإسلام « وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون. ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون» ألا فليعلم هؤلاء الطغاة الظالمون ان الله تعالى لهم بالمرصاد ، وأن بطشه شديد ، وان الله ليملي للظالم حتى إذا أخـذه لم يفلته ، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد .

فلا يغترّ هؤلاء الفراعنة المتجبرون بحلم الله ، فإن بطش ربك لشديد « وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون » .

* * *

« الوصايا الخمس »

الحديث الحادي والعشرون :

عَنْ أبي هُرَيْرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسُولَ اللهِ ﷺ قالَ : مَنْ يَأْخذُ عنّي هذهِ الكَلِماتِ فيعْمَلُ بهنَّ أو يُعلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بهنَّ ؟ قَالَ أبُو هُرَيْرةَ . فقلتُ . أنا يا رسول اللهِ ، فأخذ بيدي فعدّ خَمْساً فقال .

- اتّقِ المَحَارِمِ تكنْ أعبَدَ النَّاسِ .
- وارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لكَ تكُنْ أغْنَى النَّاسِ .
- وأحسِنْ إلى جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِناً .
- وأحبَّ للنَّاسِ ما تُحِبُّ لِنفْسِكَ تكنْ مُسْلِماً .
- ولا تُكثِرِ الضَّحِكَ فانَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ القَلْبَ .

« رواه التِرْمِذِيُّ »

الأبحاث العربية :

هذه الكلمات : المراد بالكلمات الوصايا أي من يسمع هذه الوصايا

فيعمل بها .

المحارم : قال في القاموس : المحارم جمع (مَحْرَمَة) وقد تفتح الراء (مَحْرَمَة) وهي ما حرم الله فعله وعمله على العباد وفي الحديث الشريف (ألا وإنّ حِمَى اللهِ في الأرض مَحَارِمُه)

أعبد الناس : أفعل تفضيل أي أكثرهم عبادة ، وأعظمهم خشية لله ، كتب (ابن المبارك) للقاضي (عياض) يلومه على ترك الجهاد .

« يا عابدَ الحرمينِ لوْ أبصَرتنا
لعلمتَ أنكَ في العبادةِ تلعبُ »
« من كانَ يخضبُ خدَّه بدموعهِ
فنحورنا بدمائنا تتخضَّبُ »

قسم الله : أي اقنع بنصيبك من الدنيا تكن أغنى الناس ، فالقناعة كنز لا يفنى ، وفي القناعة راحة القلب والبال قال الشاعر :

« إذا مَا كنتَ ذا قلبٍ قنوع
فأنتَ ومَالِكُ الدنيا سَواءُ »

تميت القلب : أي تذهب نوره وبهاءه ، وتفقد الإنسان شعوره وإحساسه ، فلا يستفيق لنصح ، ولا يرتدع عن غيّ . وكثرة الضحك دليل السّفه ، وخفة العقل ، ولقد أحسن من قال :

« ضحكنا وكانَ الضحكُ منا سفاهةً
وحُق لأربابِ البريّة أن يبكوا »

الأبحاث النحوية :

(تكن أعبدَ) . تكن مضارع مجزوم لأنه جواب الطلب ، وهو متصرف من كان الناقصة ، واسمها ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت ، ولفظ (أعبد) هو الخبر منصوب بالفتحة الظاهرة ، وكذلك (تكن أغنى الناس) مثلها في الاعراب .

(بما قسم اللهُ) (ما) اسم موصول مجرور بالباء أي (بالذي) قسمه الله لك والجار والمجرور متعلق بـ (إرْضَ) ولفظ الجلالة فاعل مرفوع بالضمة الظاهرة .

(تميت القلب) تميت : فعل مضارع، والقلب مفعول به ، والجملة في محل رفع خبر إنَّ تقديره : فإنَّ كثرة الضحك مميتة للقلب

الأبحاث اللغوية :

١ ــ قوله (اتق المحارم) جملة انشائية (انشاء طلبي) والغرض من هذه الجملة (الإرشاد) فقد خرج الأمر عن صيغته الأصلية وهي الوجوب والإلزام إلى النصح والإرشاد ومثلها الجمل الأخرى (ارض بما قسم الله) و (أحبَّ للناس) و (أحسن إلى جارك) .

٢ ــ قوله (بما قسم الله) فيه (إيجاز بالحذف) والمعنى . ارض بما قسم الله لك من العيش والمال والرزق الحلال والايجازُ ضرب من ضروب البلاغة لأن فيه وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ قليلة . ولقد كان الرسول ﷺ أفصح البلغاء فقد أعطى جوامع الكلم . ويشترط في الايجاز بالحذف ألا يُخِلَّ بالفهم وأن يكون هناك ما يدل على المحذوف وإلا كان الحذف رديئاً ، والكلام غير مقبول

(تميت القلب) : فيه استعارة حيث شبَّه الظلمة التي تحلُّ بقلب الانسان المكثر للضحك بالموت ، واشتق من لفظ الموت (تميت) فهي (استعارة تصريحية أصلية) .

بين لفظ (أعبد الناس وأغنى الناس) سجع وهو من المحسنات البديعية.

الشرح الأدبي :

حين تسمو النفوس وتكبر الآمال ، وتصبح الحياة عامرة بالتقوى وفضائل الأعمال ، تتطلع النفس البشرية إلى معرفة الفضائل والمكارم ، فتصبح العبادة محبوبة الى النفس ، وتصبح الطاعة سجية من سجاياها ، وبذلك يرتفع الانسان فوق المغويات والمغريات ، ولا يبقى للمادة قيمة في نظره ، ولا سبيل الى قلبه . كيف لا وقد أصبحت « المثل العليا » همّه وغايته ، وأصبح حبُّ الخير غرضه وهدفه !! والرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه يوّضح لنا في هذا الحديث النبوي الشريف الذي هو قبس من قبسات النبوة ، ومنار من منارات الهدى ، يوضح لنا سبيل الخير ، ويرشدنا الى مدارج العز والكمال ، في وصاياه الثمينة الغالية ، التي فيها من النصائح والحكم ما يثلج الصدر ويشفي الغليل .

ففي الوصية الأولى : بيان لمعنى « العبادة » الحقة ، فليست العبادة صوراً وأشكالاً ، ولا مظاهر وهمية ، لا صلة لها بالمجتمع والحياة ، بل هي الجمال والجلال ، والاستقامة على شريعة الله .. فاذا اجتنبتَ المحارم ، وابتعدت عن مزالق الهوى ، ومكائد الشيطان ، وطهّرت نفسك من الفحش والرذيلة ، فأنت العابد الزاهد ، وأنت التقي الصالح ، الذي يريده ويحبه الاسلام .. ولله در القائل :

« واتّقِ اللهَ فتقوى اللهِ مَا جاوَرتْ قلبَ امرىءٍ إلاّ وَصَل »

« ليْسَ منْ يقطعُ طرُقاً بَطلاً إنمــا مَنْ يتقي اللهَ البَطَلْ »

وفي الوصية الثانية : بيان لحقيقة « الغنى » ، فليس الغنى بكثرة المال ، ولا بملك العقار ، ولا بادخار الثروات وتكديسها ، ولكنها في غنى النفس كما قال صلوات الله عليه في حديث شريف (ليس الغنى عن كثرة العرض ، ولكنّ الغنى غنى النفس) .. فالرضى بالرزق المقسوم

راحة للنفس ، وطمأنينة للقلب ، بل هو السعادة نفسها ، ولقد أحسن من قال :

« ولست أرى السعادة جمع مال ولكن التقيَّ هو السعيد »

وليست الثروة والمـــال هي كل النعم التي أنعم الله تعالى بها على الانسان ، بل إنَّ من النعم ما يفوق – اضعافاً مضاعفة – نعمة الغنى والمال .. فالايمان ، والصحة ، والسلامة ، والعيش في ظلال الأمن كلها نعَمٌ تفوق نعمة المال ، وصدق الله (وإنْ تعدُّوا نعمةَ الله لا تحصُوها) .

وفي الوصية الثالثة . دعوة الى البر والاحسان .. أن يحسن الانسان إلى أقرب الناس اليه ، وأولاهم بحسن معاملته ألا وهو (الجار) الذي أوصى القرآن به في عديدٍ من الآيات ، وقال عنه سيد البشر [ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه] .

وفي الوصية الرابعة : تظهر مثالية الإسلام ، في حبه الخير لجميع الأنام ، فليس الدين الا رحمة وعطفاً ، وليست الأخلاق الا إنسانية ونبلاً ، ولهذا لا يتحقق بالاسلام إلا من أحب الخير لجميع الناس ، دون تفريق بين ألوانهم وأجناسهم وحق أديانهم ، وهذا هو أدب القرآن « وقولوا للنَّاس حُسناً » ، وتوجيه النبوة « لا يؤمن أحدكم حتى يحبَّ لاخيهِ ما يحب لنفسه » .

وفي الوصية الخامسة : دعوة إلى (الخلق الرّصين) باجتناب حياة الهزل ، وتحذير من الإكثار من الضحك ، فإنَّ ذلك مما يتنافى مـــع وقار المسلم . فليست الحياة لهواً وعبثاً ، وليست هزلاً وصخباً . بل هي – في نظر العاقل – حياة جد وكفاح ، وعمل ونضال ...

فلله مـــا أجمل أخلاق الإسلام !! وما أروع نصائح الرسول ؟ وما أسعد المسلمين لو تمسكوا بها !!.

***

« الاخلاق ميزان رقي الامم »

الحديث الثاني والعشرون :

عَنْ جابرِ بنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ ﷺ قالَ : « إنَّ مِنْ أحبِّكم إليَّ ، وأقربِكُمْ مِنّي مجْلِساً يومَ القيامةِ أحاسِنُكم أخلاقاً ، وإنَّ مِنْ أبْغضِكمْ إليَّ ، وأبعدِكمْ مِنّي يومَ القِيامَةِ ، الثَّرْثارونَ ، والمتشَدِّقونَ والمُتفَيْهِقُونَ ؟ قالوا يا رَسُولَ الله : فَما المتَفَيْهِقُونَ ؟ قالَ : المتكَبِّرُونَ » .

(رواه الترمذي)

الأبحاث العربية :

الثرثارون : جمع (ثرثار) وهو الشخص الذي يكثر الكلام وقد يصل به الحال الى درجة الهذيان قال الشاعر :

وزن الكلامَ اذا نطقتَ فإنما
يبدي عيوب ذوي العيوبِ المنطقُ »

المتشدّقون : جمع متشدق وهو الذي يتطاول على الناس بكلامه ، ويتكلم بملء فمه ، تفاصحاً وتفاخراً ، وأصل التشدّق

مأخوذ من ملء الشدق فالذي يتكلم بملء فمه للتفصح يقال عنه متشدّق ، وقد جاء في لسان العرب : الشدْقُ جانب الفم ، والمتشدّق الذي يلوي شدقه للتفصّح .

المتفيهقون : مأخوذ من الفَهْق وهو الامتلاء ، قال الأصمعي : المتفيهقُ الذي يتوسع في كلامه ويفهق (أي يملأ) به فمه قال الأعشى :

تروحُ على آل المحلّق جفنةٌ كجابيةِ الشيخ العِراقيّ تَفهَقُ

وقد فسّره عليه الصلاة والسلام بأنه المتكبّر لأن المتكبر يتبجّح بكلامه ويشمخ بأنفه استعلاءً على الناس وتكبراً فناسبهُ الوصف .

الأبحاث النحوية :

١ - (إن من أحبّكم) إن حرف توكيد ونصب (من) حرف جر زائد (أحبّكم) اسم إنّ والخبر هو (أحاسنُكم) وهو مضاف والكاف مضاف اليه . (مجلساً) تمييز وقوله (الثرثارون) خبر إنّ مرفوع .

٢ - قوله (المتكبّرون) خبر لمبتدأ محذوف تقديره هم المتكبرون .

الأبحاث البلاغية :

١ - قوله (إن من أحبّكم) جملة خبرية من النوع الطلبي لأنها مؤكدة بإنّ والغرض منها إفادة المخاطب الحكم ويسمى (فائدة الخبر) .

٢ - بين جملة (أحبكم إليّ وأقربكم مني) وجملة (أبغضكم إليّ وأبعدكم منيّ) من المحسنات البديعية ما يسمى بـ (المقابلة) فقد جاء بلفظ (أحبكم) ويقابلها في الجملة الثانية (أبغضكم) وبين لفظ

(أقربكم) ومقابلها (أبعدكم) وبين لفظ (أحاسنكم خلقاً) ومقابلها (الثرثارون) فهي مقابلة بديعة لطيفة تزيد الكلام رونقاً وجمالاً

والفرق بين (المقابلة) و (الطباق) أن المقابلة تكون بين معنيين أو أكثر متوافقة ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب، أما (الطباق) فيكون بين لفظتين مثل (هو الأول والآخر) ومثل قوله تعالى (وأنه هو أضحك وأبكى)

الشرح الأدبي .

بهذه الصورة الجميلة الرائعة ، يضع الرسول الكريم صلوات الله عليه حجر الزاوية ، في بناء الشخصية الاسلامية المثالية ، وبناء المجتمع المسلم ، القائم على الفضيلة ، المشيّد بدعائم التقى والصلاح . ففي هـــذا الهدي النبويّ الشريف يبيّن الرسول عليه الصلاة منزلة (الأخلاق والتربية) في الاسلام ، ومكانة المؤمن المتخلق بهذه الأخلاق الكريمة التي هي من أهم مقاصد الاسلام فالأخلاق سياج الأمم ، وميزان تقدمها ورقيهـــا ، وعنوان عظمتها وخلودها .. فالأمم لا تحيا بدون أخلاق ، ولا تعيش بغير أدب . ولله درّ أمير الشعراء شوقي حيث يقول

« صلاحُ أمرك للأخلاق مرجعه فقوّم النفس بالأخلاق تستقم »

وقوله أيضاً :

« وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا »

ولقد ضرب الرسول الكريم أروع الأمثلة في الخلق الرفيع ، والاستقامة على أمر الله عز وجل ، والتحلي بالأخلاق الكريمة الفاضلة ، حتى أثنى عليه المولى تبارك وتعالى بقوله [وإنك لعلى خلق عظيم] . وكفى بهذا الثناء والمديح رفعة وعزة ، وسمواً وجلالاً لنبي الهدى ورسول الاخلاق !!

ولقد وضّح عليه الصلاة والسلام – بهذه الكلمات الروائع – قيمة

الأخلاق ، ورفع مكانة أهلها ، المتخلقين بحميد الخصال ، الذين ترسخ فيهم معاني الفضل والنبل ، والأدب الرفيع ، حتى أصبحت سجية من سجاياهم ، وأشاد بفضلهم صلوات الله عليه حين جعلهم أحبّ الناس عنده وأقربهم مكانة لديه فقال « إنّ من أحبكم إليّ وأقربكم مـــني منزلة يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً . . » .

فليست الاخلاق سبب السعادة في الدنيـا فحسب ، بل هي أساس السعادة وأصل العزّة في الدنيا والآخرة وكفى بجوار الرسول الكريم في دار الخلد والنعيم شرفاً وعلواً لصاحب الخُلُق الرفيع حيث ينال درجة عالية يغبطه عليهـا كثير من الناس ، يوم يكون مجلسه الى جانب مجلس الرسل الكرام والصدّيقين والشهداء ، فهل بعد هذا عز وشرف يدانيه أو يضاهيه ؟

ثمّ ينتقل الرسول الكريم فيبين في هديه الشريف منزلة الفريق الثاني ، أولئك الذين تجردوا من الفضيلة ، وتعروا عن حميـد الأخلاق وحسبهم خسارة أن يكونوا بغيضين الى رسول الله بعيدين عن مجاس الأنس والسعادة في جواره الشريف وجوار أولياء الله من النبيّين والشهداء والصالحين .

فما أعظم خسارة أولئك وما أشد ندامتهم ؟

* * *

« الصبر عند الصدمة الاولى »

الحديث الثالث والعشرون :

عنْ أَنس بن مالكٍ رضيَ اللهُ أنَّهُ قالَ :

[مرَّ النَبِيُّ ﷺ بامرأةٍ تَبكي عِنْدَ قَبْرٍ فَقَالَ لَهَا : « اتَّقِي اللهَ واصْبري » فَقَالَتْ : إليْكَ عنّي فإنَّكَ لمْ تُصَبْ بمُصِيبَتِي – ولم تعرفه – فقيلَ لها : إنَّهُ النبيُّ ﷺ ، فأتَتْ بابَ النبيِّ فلمْ تجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابينَ ، فَقَالَتْ : لمْ أعرِفْكَ فَقَالَ : إنَّما الصَّبْرُ عندَ الصَّدْمَةِ الأُولَى] .

« رواه البخاري »

الأبحاث العربية :

تبكي : أي تنوح وترفع صوتها بالبكاء والعويل ، لذلك أنكر عليها النبي ﷺ وأمّا البكاء بدون نواح فليس محظوراً بدليل قوله ﷺ [إنّ العينَ لتدمعُ ، وإن القلبَ ليحزن ولا نقول إلا ما يرضي اللهَ وإنا على فراقكَ يا إبراهيم لمحزونونَ] .

إليك عني : اليك : أي تنحّ وابعد عني فهو من أسماء الافعال وليس جاراً ومجروراً فهي مثل قوله تعالى : (يا أيهـــا الذين آمنوا عليكم أنفسكم) أي الزموها .

الصبر : الصبر هو حبس النفس على ما تكره ، والصبر أنواع : صبر على المصيبة ، وصبر على فعل الطاعة ، وصبر على ترك المعصية . قال تعالى : [وبشر الصابرين] .

الصدمة الاولى : الصدمة الاولى هي : أول نزول المصيبة ووقوعها عـــلى النفس فإنهـا تكون أشد وآلم.. وأصل الصدم ضرب الشيء الصلب بشيء صلب مثله ثم استعير للمصيبة الواردة على القلب .

الأبحاث النحوية :

(بامرأة تبكي) : جملة تبكي من الفعل والفاعل في محل جر صفة لامرأة لأن الجمل من بعد النكرات صفات .

(اليك) : اسم فعل أمر بمعنى اذهب وابعد عني .

(ولم تعرفه) : جملة في محل النصب على الحال وصاحبها الضمـير الذي هو فاعل قالت والتقدير فقالت المرأة للنبي ذلك حـــال كونها لا تعرفه ﷺ إذ لو عرفته لما خاطبته بتلك الجفوة .

الأبحاث البلاغية :

١ – قوله (مرّ النبي) جملة خبريه من الضرب الابتدائي والغرض منها إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة ويسمى (فائدة الخبر) .

٢ – قوله (اتقي الله) جملة إنشائية وهو من الإنشاء الطلـــبي ،

والغرض من الامر هنا (النصح والارشاد)

٣ — قوله (اليك عني) جملة إنشائية طلبية العامل فيها الامر والاداة اسم فعل الامر (اليك) بمعنى ابتعد والغرض (التأنيب واللوم) .

٤ — قوله (لم أعرفك) جملة خبرية من الضرب الابتدائي والغرض (إظهار الندم) .

٥ — قوله (الصبر عند الصدمة الاولى) فيه استعارة لطيفة فقد شبّه وقع المصيبة على الانسان بالصدمة ، واستعار (المشبّه به) للمشبّه ، على سبيل الاستعارة (التصريحية الأصلية) .

ترجمة راوي الحديث :

راوي الحديث هو (أنس بن مالك) الانصاري الخزرجي رضي الله عنه يكنى (أبا حمزة) وهو خادم رسول الله ﷺ وأحد المكثرين من الرواية عنه ، وقد انتفع ببركة خدمته للنبي ﷺ ودعا له الرسول الكريم ، أتت به أمه (أم سليم) الى النبي ﷺ لما قدم المدينة فقالت له : هذا أنس غلام يخدمك فقبله ﷺ وكناه (أبا حمزة) وكان يمازحه ﷺ بقوله : يا ذا الأذنين .. وقد خدم رسول الله ﷺ عشر سنين ودعا له النبي ﷺ بالبركة فيه وفي ماله وولده فكان له بستان يحمل الفاكهة في السنة مرتين . وكان فيه ريحان ينبعث منه ريح المسك وقد قدّم من صلبه من ولده وولد ولده ما يزيد على مائة قبل موته وذلك ببركة دعوة الرسول الكريم قال أنس : وإن أرضي لتثمر في السنة مرتين وإني لمن أكثر الانصار مالاً وولداً ، توفي سنة ٩٣ هـ وله من العمر ١٠٣ سنوات ودفن في البصرة رضي الله عنه وأرضاه .

الشرح الأدبي :

ما أشد وقع المصيبة على النفس حين تكون بعزيز غـالٍ ، أو ولد حبيب !! إنّها لخطب جلل وكارثة عظيمة قد يضيق عنهـا الصبر ولا تتحملها النفس ، ولكن الدين داوى هذه النفوس الجزعة بما يخفف عنها وقع المصيبة وألم الكارثة . فالمؤمن يعتقد بقضاء الله وقدره وأنّ كل ما يحدث في هذه الحياة ، من خير أو شر ، ومن نفع أو ضر ، إنما هو بقضاء من الله وتقدير منه فيرضى بحكم الله صابراً محتسباً طمعاً في مرضاة الله عز وجل وإلى ذلك تشير الآية الكريمة [ما أصاب من مصيبة في الارض ولا في أنفسكم الاّ في كتاب من قبل أنّ نبرأها إن ذلك على الله يسير . لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بمـا آتاكم ، والله لا يحب كل مختال فخور] ... هذا هو فائدة الايمان (بالقضاء والقدر) أن تخف المصيبة على قلب الانسان بسبب اعتقاده انهـا بإرادة الله ومشيئته بينما الكافر ينفد صبره ويضيع رشده ، ولربما أضاع حياته ايضاً بالانتحار ، لأنه ليس لديه ما يسليه أو يعزّيه أو يخفف المصاب عنه ، ولقد كان جزاء الصبر عظيماً عند الله لأنه حبس للنفس على ما تكره ، وصون لها عن فعل ما يغضب الله ، ومقاومة للنوازع الفطرية في نفس الانسان ولذا كان الثواب عظيماً . قـال تعالى [وبشر الصابرين ، الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا إليه راجعون . أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون] . وفي هذا الحديث الشريف دعوة الى الصبر وتقوى الله لتلك المرأة التي فقدت ولدها ، ولكن وقعا لمصيبة كان عظيماً لذلك فقـد خاطبت الرسول ﷺ بألفاظ لا تليق بمقامه الشريف ولكن الرسول ﷺ قابلها بالسماحة والعفو ، ولم تلبث ان جاءت تعتذر فقبل الرسول اعتذارها وضرب لها أروع الامثال في أسلوب النصيحة بقوله (إنما الصبر عند الصدمة الأولى) .

* * *

« الرِّفق في النصيحة »

الحديث الرابع والعشرون :

عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ تعالى عنهُ أنه قَالَ :

« بالَ أعْرَابِيٌّ في المسْجدِ ، فَقَامَ النَّاسُ اليهِ لِيَقَعُوا فيه ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ : دَعُوهُ وأرِيقُوا على بَوْلِهِ سَجْلاً مِنْ مَاءٍ أو ذَنُوباً من ماءٍ ، فإنّما بُعِثْتُم مُيَسِّرِينَ ولم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ».

« رواه البخاري »

الأبحاث النحوية :

بال أعرابي : الأعرابي ساكن البادية جمعه أعراب قال تعالى (الأعرابُ أشَدُّ كُفْراً ونِفاقاً) وأما ساكن المدينة فيسمى (الحَضَري) وهذا الأعرابي هو (ذو الخويصرة اليماني) وإنما لم يذكر اسمه حفظاً لكرامته ، وستراً عليه .

ليقعوا فيه : أي وثبوا نحوه ليضربوه تأديباً له لأنه انتهك حرمة المسجد .

سجلاً : بفتح فسكون أي دلواً من الماء ، والسَّجْل مثل الذَّنوب وهو : الدلو الممتلئة بالماء .

بعثتم ميسرين : أي خلقتم مؤمنين لتكونوا من أهل الرفق واللين ، واليسرُ هو اللطف والرفق ولين الجانب وقد قال ﷺ (بشّروا ولا تنفّروا ، ويسّروا ولا تعسّروا) .

الابحاث النحوية :

١ – « ليقعوا فيه » اللام لام التعليل ، و « يقعوا » مضارع منصوب بأن مضمرة جوازاً بعد لام التعليل ، وعلامة نصبه حذف النون ، والواو فاعل ، والجار والمجرور متعلق بيقعوا . فائدة : تضمر « أن » وجوباً في خمسة مواضع : ١ – بعد لام الجحود ، ٢ – فاء السببية ٣ – واو المعية . ٤ – حتى . ٥ – « أو » التي بمعنى الى أو إلاّ وتضمر « جوازاً » بعد لام التعليل .

٢ – « بعثتم ميسرين » بُعِثَ فعل ماض مبني للمجهول ، و « التاء » نائب فاعل ، والميم للجمع و « ميسرين » حال منصوب بالياء لأنه جمع مذكر سالم والنون عوض عن التنوين .

الابحاث البلاغية :

١ – بال أعرابي : جملة خبرية من النوع الابتدائي غرضها إفادة المخاطب الحكم ويسمى « فائدة الخبر » .

٢ – في المسجد : مجاز مرسل علاقته الكلية فقد أطلق الكل وهو « المسجد » وأراد به الجزء وهو « الناحية » لأن القرينة تدل على ذلك لاستحالة أن يبول الشخص في جميع المسجد ، فإطلاق اللفظ الكلي وإرادة الجزئي منه يسمي « مجازاً مرسلاً » .

٣ – دعوه وأريقوا : جملة انشائية الأمر فيها للوجوب ، ويوجد في هذه الجملة أمران ، والمراد بالأمر هنا « الزجر » والتوبيخ .

٤ – بعثتم ميسرين : بين هذه الجملة ، والجملة الثانية « ولم تبعثوا معسرين » طباقٌ يسمى (طباق السلب) وهو كما عرّفه علماء البلاغة : أن يجمع بين فعلين من مصدر واحد أحدهما مثبت والآخر منفي ، مثل قوله تعالى « يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله » .

٥ – بين لفظتي « ميسّرين ومعسّرين » جناس يسمى « الجناس الناقص » فقد تغيّر الحرف الثاني فأصبح بدل الياء عين وهو ما يسمى بالجناس الناقص ، وفي الجملة أيضاً سجع .

الشرح الادبي :

ما أجمل الإسلام رسالة الهداية والإصلاح ، ودين السماحة واليسر !! وما أسمى تعاليمه الحكيمة التي تدعو إلى الرفق واللين في النصح والإرشاد ، وإلى معالجة المشكلات الاجتماعية بطريق الرأفة لا الغلظة ، وبأسلوب اللين لا الشدة ! ولا عجب فهذا أدب أدّب الله به رسوله الكريم وخاطبه بقوله « ولو كنتَ فظاً غليظ القلب لانفضُوا من حَولِكَ » وعلمه الرسول صلوات الله عليه لأصحابه حين قال لهم « انما بعثتم ميسرين ولم تُبعثوا معسّرين » هذا هو أعرابي يدخل مسجد الرسول ﷺ فيتنحى طائفة منه يقف يتبول ، لا يعرف هذا الأعرابي أمور الدين ، ولا يدري حرمة المساجد التي أمر الله أن تعظم وتطهر .. يظن هذا الأعرابي أن المسجد كبقية الأماكن ، ليس هناك ما يمنع من التبول فيه أو قضاء الحاجة ، وليس له من عذر إلا أنه جاهل ، ويرى أصحاب رسول الله هذا المنظر المؤذي ، منظر الأعرابي يتبول في المسجد ، فيسرعون نحوه يريدون ضربه وتأديبه ، لأنه أساء الى حرمة بيت الله ، ويأمرهم الرسول الرحيم بالكف عنه وعدم ايذائه أو ضربه ، لأن الجاهل

ينبغي أن يُعلّم لا أن يضرب ، فإن الضرب ينفر ولا يؤدب والرسول الكريم يقــول « بشّروا ولا تنفّروا ، ويسّروا ولا تُعَسّروا » فأمرهم الرسول بعدم التعرض له بسبة أو أذى ، ويكلفهم أن يريقوا على بوله دلواً من ماء تطهيراً للمكان من النجاسة ، ثم يدعو الأعرابي فيعلمه برفق ولين ، ويرشدَه الى أن هذا بيت من بيوت الله عز وجــل ، لا يليق بالمسلم أن يحدث فيه أذى ، أو يعرضه لنجاسة ، ويتلطف معه عليه الصلاة والسلام حتى يشعر الأعرابي من نفسه بخطئه ويندم على عمله ، ويطلب من الرسول الكريم العفو والسماح وهنا يقبل الرسول ﷺ على أصحابه مرشداً لهم الى طريق الرفق في الدعوة ، واللطــف في المعاملة ، قائلاً لهم « إنما بُعِثتُم ميسّرين ولم تبعثوا معسّرين » .

وقد جاء في بعض الروايات الصحيحة أن ذلك الأعرابي حين أراد الخروج من المسجد ركب ناقته ثم قال : « اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً » وذلك لأنه رأى اللطف من الرسول الكريم على خلاف أصحابه حينما هجموا عليه ليضربوه ، وسمعه الرسول يقول ذلك فقال له : لقــد حجّرتَ أي « ضيقت » واسعاً يا أخا العرب ، يريد منه أن يعم بدعوته لا أن يخصها بنفسه وبرسول الله فقط .. ولو أن المسلمين تمسكوا بهذا الخلق الرفيع – من الرفق في الدعوة ، وحسن النصح والإرشاد – لعاشوا سعداء ولما كانت بينهم مشاحنات ، ولوصلوا الى الغاية المنشودة من أقرب طريق ..

وهكذا يكون أسلوب الدعوة وأسلوب النصح والتذكير وخاصة مع الجاهل ، فلله ما الطف أخلاق الرسول ، وما أروع تربيته ، وما أحوج المسلمين إلى مثل هذه التربية الحميدة الرشيدة التي تخرج العظماء والأبطال!!

* * *

« جهاد النفس »

الحديث الخامس والعشرون :

عَنْ (أبي يَعْلى) شدَّادِ بنِ أوْسٍ رَضِيَ اللهُ تعالى عنهُ عَنِ النبيِّ ﷺ أنَّهُ قالَ :

(الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وعَمِلَ لما بَعْدَ المَوْتِ والعَاجِزُ مَنْ أتْبَعَ نَفْسَهُ هوَاهَا ، وتمنَّى على اللهِ الأماني).

« رواه الترمذي »

الأبحاث العربية :

الكيس : العاقل ، الحليم ، الرشيد ، والكياسة : الرزانة قال الحطيئة :
« والله ما معشر لاموا أمرءاً جنباً
من آل لأي بن شماس بأكياس »
والمراد في الحديث : العاقل الذي يجتنب الموبقات ، والاستمتاع بالشهوات .

دان نفسه : أي حاسب نفسه ، والديّان : المحاسب الذي يجازي عباده على أعمالهم ، ومنه الحديث (البرُّ لا يَبْلى ،

والذّنبُ لا يُنسى ، والدّيانُ لا يموت ، إعمل ما شئت كما تدينُ تدَانُ) أي كما تفعل تجزي ، و (يوم الدين) هو يوم الجزاء .

بعد الموت : أي عمل للآخرة ، والمراد أنه عمل صالحاً ينفعه بعد موته ، ويؤنسه في وحشة قبره ، وما أجمل قول الشاعر :

« لا ينفــعُ الإنسانَ في قبره
إلا التقى والعملُ الصالـــح »

العاجز : أي ضعيف التفكير في العواقب ، وهو المتهاون والمقصر في واجباته .

أتبع نفسه . أي سار وراء شهواته ، وأرخى العنان لنزواته ، فهو ممن يتّبع هـــواه ولا يطيع أمر الله ، واتباع الهوى سبب الضلال ، قال تعالى (وَلا تتّبعْ الهَوَى فيُضِلكَ عن سبيل الله)

تمنى الأماني : أي اشتهى على ربه أن ينيله الجنة ، ويمنحه الدرجات الرفيعة ، مع أنه مقصر في واجباتـــه ، منهمك في المعاصي والموبقات ، والجنة إنما تكون للعاملين .

الابحاث النحوية :

(الكيّس من دان نفسه) الكيّس مبتدأ وخـــبره اسم الموصول (مَنْ) و (نفسه) مفعول به لدان ، وجملة(دان نفسه) صلة الموصول [عمل لما بعد الموت] عمل فعل ماض والفاعل ضمير يعود على الكيس واللام حرف جر [ما] اسم موصول بمعنى الذي في محل جر باللام ، والجار والمجرور متعلق بعمل ، [بعد] ظرف زمان و [الموت] مضاف اليه .

الابحاث البلاغية :

١ – قوله [الكَيِّسُ مَنْ دان] جملة خبرية من الضرب [الابتدائي] والغرض من الخبر تحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله .

٢ – [بعد الموت] كناية عن الدار الآخرة ، والاستعداد لها بصالح الأعمال ، فما بعد الموت إنما هي الاخرة ويوم الحساب

٣ – قوله [تمنّى الأماني] فيه من المحسنّات البديعية ما يسمّى بـ [جناس الاشتقاق] .

٤ – قوله [الكيِّس من دان نفسه ...] وقوله [والعاجز من أتبع نفسه ..] بين هاتين الجملتين من المحسنات البديعية ما يسمى بـ [المقابلة] وقد تقدم تعريفها والتمثيل عليها .

ترجمة الراوي :

راوي هذا الحديث هو الصحابي الجليل (شدّاد بن أوس) ويكنى (أبا يعلى) وهو من الأنصار ، ومن الشجعان الأبطال ، عاش في المدينة المنورة ، وكان من أهل العلم والعمل ، ومن أهل الحلم والوقار ، وهو ابن أخ (حسّان بن ثابت) الشاعر المشهور .. وقد كان رضى الله عنه كثير العمل ، واسع المعرفة ، حسن العشرة ، مات (ببيت المقدس) وهو ابن خمس وسبعين سنة وقبره باقي بظاهر باب الرحمة إلى الآن ، وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين هجرية رضي الله عنه وأرضاه .

الشرح الأدبي :

في توجيه نبوي رائع ، وفي أسلوب تربوي رشيد ، يضع الرسول صلوات الله وسلامه عليه اللبنة الأولى في تكوين الفرد الصالح ، ببناء

المجتمع الفاضل ، الذي تظلّله الفضيلة ، وتغمره السعادة ، وتنتظم أفراده المحبة والأخوّة ، والوئام !!

إنها تربية الاسلام المجيدة ، التي تعتنى بالفرد ، تعتني بسلوكه وأخلاقه تعتني بنزعاته ورغباته ، بميوله واتجاهاته ، فتوجهه الوجهة الصالحة ، التي تكفل له السعادة في الدنيا ، والراحة في الآخرة ، وتجعل منه عضواً نافعاً في المجتمع ، وانساناً « مثالياً » يعيش بين إخوانه وأقرانه عيشة الشرفاء ، الذين يعرفون ما لهم وما عليهم ، فلا يظلمون ولا يعتدون .. ولا يحاولون أن يسلكوا الطريق الملتوية التي يزينها لهم الشيطان !!

وهكذا – في إيجاز وروعة – يقسم النبي ﷺ الناس الى قسمين ، ويجعلهم صنفين اثنين :

١ – صنف عرف غاية وجوده في هذه الحياة . فجدّ واجتهد ، وكافح وناضل ، وحاسب نفسه على ما قدّمت من أعمال ، فزجرها عن الشر ، ودفع بها نحو الخير ، وسما بها الى درجات الكمال .. وهـذا الصنف من البشر ، هم الصفوة ، هم الأخيار الأطهار ، هم (العقلاء) الذين أدركوا سرّ هذه الحياة ، فتزودوا من دنياهم لآخرتهم ، ووقفوا عند حدود الله ، فكفّوا جوارحهم عن الآثام والموبقات ، وابتعدوا عن المحرمات والشهوات ، ونظروا إلى الدنيا نظرة البصير العاقل ، الواعي المتدبر ، الذي لم تؤثر فيه عواصف المدنيّة الهوج ، ولا أساليبها الماكرة الخادعة .. وهناك أدركوا حقارة الدنيا الفانية ، فأقبلوا على الآخرة بصدق واخلاص ، وإيمان ويقـين ، وأجهدوا أنفسهم في طاعة الله ، فكانوا من السعداء الابرار !.

٢ – والصنف الآخر هم الذين أخطأوا الفهم الصحيح للحياة .. ولم يدركوا سرّ وجودهم فيها ، فساروا مع أهوائهم ، وعاشوا لشهواتهم ، وظنوا الحيـاة خالدة لهم ، فلم يعرفوا من الدنيـا إلا التمتع باللذائذ

والشهوات ، ولم يدركوا منها إلا كما يدرك الحيوان الأعجم من العيش في سبيل الطعام ، والشراب ، والشهوة ، ولسان حالهم يقول :

« إنما الدنيـــا طعام وشراب ومنـــام »
« فاذا ما فات هذا فعلى الدنيا السلام »

إنهم « عبيد » البطون » و« عبيد » الشهوات ، الذين أصبح لهم نسبٌ عريق مع البهائم والحيوانات « يتمتعون ويأكلونَ كما تأكلُ الأنعامُ والنارُ مَثْوىً لهم » .. وصدق الله : « إنْ هُمْ إلا كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلاً » !!

هؤلاء هم الذين يسيرون مع أهوائهم ، لا يفكّرون في حساب ولا عقاب ، ثم يطمعون في رحمة الله مع أنهم لم يقدموا لآخرتهم شيئاً .. لقد عاشوا لشهواتهم ، وعاشوا لبطونهم ، لا يعرفون سراً للحياة إلا التمتع بشهواتها الفانية ، غير مفكرين بمستقبل أو مصير .. وهؤلاء – لعمر الحق – هم الخاسرون النادمون ، الذين فرطوا في جنب الله ، فأساءوا الى أنفسهم وأوردوها موارد الهلكة . فيا لهم من بلهاء ، ويا لهم من أناسٍ مغفلين !!

* * *

« تربية الابناء »

الحديث السادس والعشرون :

عَنْ عَليٍّ كَرَّمَ اللهُ وجهه أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ :

(أدِّبوا أولادَكُمْ على ثَــلاثِ خِصالٍ : حُبِّ نَبِيِّكُمْ ، وحُبِّ آلِ بَيْتِهِ ، وتِلاوةِ القُرآنِ ، فإنَّ حَمَلَةَ القُرآن في ظِلِّ عَرْشِ اللهِ ، يَوْمَ لا ظِلَّ الا ظِلُّهُ مع أنبيــائه وأصْفِيَائِهِ) .

« رواه الطبراني »

الأبحاث العربية :

أدبوا : الأدب بمعنى التربية الفاضلة والخلق الحميد قال الشاعر :

« كلّما أدّبني الدهر أراني ضعف عقلي »

« وإذا ماازددت علماً زادني علمــاً بجهلي »

وفي الحديث (أدّبني ربي فأحسن تأديـــبي) أي ربّاني فأحسن تربيتي

أولادكم : الولد يطلق على الذكر والأنثى قال تعالى (يوصيكم الله في أولادكم) وأما الابن فهو خاص بالذكر .

خصال : جمع خصلة وهي السجية والخلة الحميدة قال ﷺ للأشج : « إنَّ فيكَ خصلتين يحبهما الله ورسوله : الحِلْمُ ، والأناة » .

حملة القرآن : أي حفظة القرآن ، العاملون به ، المهتدون بهديه وفي الحديث الشريف : [أشراف أمتي حملة القرآن] فالمستمسكون بالقرآن العاملون به هم السادة الأشراف ، ولاشرف أعظم من شرف حامل القرآن .

آل بيته : الآل بمعنى الأهل قال (دعبل الخزاعي) يمدح آل البيت :

« ملامك في آل النبي فإنهم
أحبّاي ما عاشوا وأهل ثقاتي »

وهم أقرباء الرسول وعترته ، وفي الحديث : (آل محمد كلّ تقي) وقد أثنى الله على آل البيت بقوله « إنما يريد الله ليذهبَ عنكم الرِّجسَ أهل البيت ويطهّركم تطهيراً » .

أصفيائه : جمع صفيّ وهو الحبيب المقرّب ، وفي الحديث القدسي « ما لعبدي المؤمن إذا قبضت صفيّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة » .

« رواه البخاري »

الابحاث النحوية :

[أدّبوا أولادكم] أدّبوا فعل أمر ، والواو فاعل ، أولادكم مفعول به وهو مضاف . [على ثلاث خصال] الجار والمجرور متعلق بأدّبوا

و [خصال] مضاف اليه [حبّ نبيّكم] حبّ بدل من [ثلاث خصال] ونبيّكم مضاف اليه .. [فإنّ حملة] [إنّ] حرف توكيد ونصب و [حملة] اسمها ، والجار والمجرور [في ظل] متعلق بمحذوف خبر إنّ تقديره : مظلّلون في ظل عرشه . [لا ظلّ إلا ظله] لا : نافية للجنس و [ظلّ] اسمها منصوب ، وخبرها محذوف تقديره [موجود أو كائن] و [إلا] أداة حصر و [ظله] بدل من الخبر، وهذه الجملة مثل [لا إله إلاّ الله] في الإعراب فتنبّه .

الابحاث البلاغية :

١ ـ قوله (أدبّوا أولادكم) جملة إنشائية طلبية الغرض منها الإرشاد .

٢ ـ قوله (آل بيته) الإضافة هنا للتكريم والتشريف مثل (ناقة الله) . فإنّ إضافتها اضافة تشريف .

٣ ـ قوله (حملة القرآن) المراد بهم الحفظة وفيه كناية لطيفة فقد كنّى عن المشتغلين بحفظ القرآن وتلاوته بـ (الحملة) وذلك لشدة ملازمتهم لتلاوته وحفظه والعمل بما فيه .

٤ ـ قوله (لا ظلّ إلا ظله) فيه كناية لطيفة فقد كنى عن الحماية والرعاية التي تكون لهؤلاء المحسنين بالظلّ ، وقيل إنه ظلّ حقيقي يستظل به المؤمنون يوم القيامة .

الشرح الأدبي :

بالتربية السليمة ، والأخلاق القوية ، تُبْنى الأمم وتشاد الحضارات

وتتربى الأجيال الصاعدة ، التي تقيم المدنية والرقي ، وتوجد الحضارة والازدهار .. ومن أجل إشادة دعائم المجتمع ، على أسس متينة كريمة، اهتم الإسلام بتربية الأبناء ، وتنشئتهم النشأة الصالحة ، التي تجعل منهم رجالاً وأبطالاً ، وتدفع بهم إلى المعالي ، وإلى محاسن الأمور .

ولقد وجّه النبي الكريم الآباء إلى تربية الأبناء والعناية بهم وتعويدهم على الفضائل ومكارم الاخلاق ، وذلك بغرس بذور الايمان في قلوبهم ، ورعاية جميع شئونهم ، لأن الطفل إذا أهمل ، فسدت أخلاقه ، وتلوثت طباعه ، وأصبح شخصاً غير مهذّب وغير نافع في الحياة ، بل أصبح جرثومة في المجتمع .

١ – وأوّلُ ما ينبغي على الوالد فعله أن يعوّد طفله على طاعة الله ومحبته ، وتعظيم شعائر الدين ، وأن يغرس في نفسه حب الرسول العظيم الذي حقه أعظم من حق الوالدين ، وحبُّه ينبغي أن يقدّم على حب الوالد والولد ، بل على حب النفس ، لأنه سبب لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة ، ولولاه لبقينا في الشقاء والضلال ، ولهذا قال عليه الصلاة والسلام « والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم ، حتى أكون أحبَّ اليه من والده وولده والناس أجمعين » ومن علامات الإيمان أن يكون الله ورسوله أحبّ إلى الأنسان من كل أحدٍ في هذه الحياة .

٢ – ومن محبة الرسول ﷺ تتولد محبة (آل البيت) ، محبة آله وعشيرته ، لأن من أحبّ شخصاً أحبّ من يلوذ به وينتسب اليه ، ولا شك أنّ آل بيت النبي ﷺ هم أحق الناس بالحب والتقدير ، وقد أثنى الله عليهم بقوله « إنّما يريدُ اللهُ ليذهبَ عنكم الرّجسَ أهلَ البيتِ ويطهركم تطهيراً » ، فمحبّتهم محبة للرسول ، وتكريمهم تكريم له ﷺ .

٣ – ومما ينبغي العناية ، والحرص عليه كل الحرص ، أن نعلّم الطفل تلاوة الكتاب المجيد ، وأن نغرس حبه وتعظيمه في قلبه ، فبه يتنور المؤمن ، وبه يصبح في مراتب أهل الشرف والفضل الذين قال عنهم رسول الله ﷺ : « أشراف أمتي حملة القرآن » وقال « خيركم من تعلم القرآن وعلمه » فهم السادة ، وهم القادة ، ولهذا ختم عليه الصلاة والسلام الحديث الشريف بقوله (فإن حملة القرآن في ظلّ عرش الله ، يوم لا ظل إلا ظله ، مع أنبيائه وأصفيائه » .

وكفى بهذا شرفاً وفخراً لحملة القرآن .. اللهم وفقنا لتلاوته وارزقنا العمل بما فيه انك سميع مجيب الدعاء .

* * *

« ضياع الامانة »

الحديث السابع والعشرون :

عَنْ أبي هُرَيْرة رضيَ اللهُ تَعالى عنهُ أنّهُ قالَ :

(بَيْنا النبيُّ ﷺ يُحَدّثُ القَوْمَ جاءَهُ أعرَابيٌّ فقَالَ : متى السّاعةُ ؟ فَمَضَى رسُولُ اللهِ ﷺ يُحَدّثُ ، فقَالَ بَعْضُ القَوْمِ : سَمِعَ ما قَالَ ، فَكَرِهَ ما قَالَ ، وقال بَعْضُهُمْ : بَلْ لَمْ يَسْمَعْ ، حتّى اذا قَضَى حَديثَهُ ، قَالَ : أيْنَ السّائِلُ عَنِ السّاعَةِ ؟ قَالَ : هَا أنا يَا رسُولَ اللهِ ، قَالَ : إذا ضُيّعتِ الأَمَانَةُ فانْتَظِرِ السّاعَةَ ، قَالَ : وكَيْفَ إضَاعَتُها ؟ قالَ : اذا وُسّدَ الأمْرُ الى غَيْرِ أهْلِهِ فانْتظِرِ السّاعَة) .

« رواه البخاري »

الأبحاث العربية :

بيــنا : أي في اللحظة التي كان يحدّث فيها القوم ويعظهم .
يحدّث القوم : المراد بالتحديث : الوعظ والتذكير ، فقد كان ﷺ

يعظ أصحابه ويذكرهم بين الفينة والفينة ، ولا يكثر
عليهم خشية الملل والسآمة .

متى الساعة : المراد بالساعة القيامة وخراب الدنيا ، وانما سميت القيامة بالساعة لأنها تأتي كلمح البصر في مدة زمنية قصيرة (وَمَـا أمرُ السّاعةِ إلاّ كلمحِ البَصرِ أو هو أقرب) .

فمضى رسول الله : أي استمرّ في حديثه ، ولم يردّ على السائل ، تنبيهاً له الى تعلّم أدب الحديث ، وعدم مقاطعة المحدّث .

كره ما قال : كرّر لفظ القول (سمعَ ما قالَ ، فكره ما قال) وذلك لدفع الالتباس ، لئلا يوهم انّ الكراهية كانت للسائل .

ضيّعت الامانة . المراد بالأمانة كلّ ما أئتمن الله تعالى عليه عباده من تكاليف شرعية وواجبات دينية ، وقد فسّرها الحديث الشريف بإسناد الأمور الى غير أهلها .

وسّد الأمر : أي أسند الأمر الى غير أهله وَوُكِلَ الى من لا يصلح له ، كتسليم الجاهل أمور التعليم ، وتولية الخائن وظائف الدولة ، واسناد الشئون العامة الى من لا يحسن التدبير كالمرأة وقد قال ﷺ (لَنْ يفلحَ قومٌ ولّوا أمرَهم امرأةً) وفي الحديث (إذا كانتْ أمورُكُمْ إلى نسائِكمْ فبطنُ الأرضِ خيرٌ لكمْ منْ ظهرِها). ومعنى الحديث الشريف : الموت خير لكم من الحياه

الأبحاث النحوية :

(بينا النبيُّ) بينَ ظرف زمان منصوب على الظرفية (ومـا)

زائدة و (النبيُّ) مبتدأ وجملة (يحدّث القوم) في محل رفع خبر .

(متى الساعة ؟) (متى) اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم ، و « ما » اسم موصول بمعنى الذي مفعول به و « قال » صلة الموصول .

« أين السائل عن الساعة ؟ » أين اسم استفهام خبر مقدم و«السائل» مبتدأ مؤخر ، و « عن الساعة » جار ومجرور متعلق باسم الفاعل « السائل » وإنما تقدم الخبر على المبتدأ لأن أسماء الاستفهام لها الصّدارة.

« كيف إضاعتها » : كيف اسم استفهام خبر مقدّم و « إضاعتها » مبتدأ مؤخر وهو مضاف والهاء مضاف اليه .

« إذا وسّد الأمرُ » إذا شرطية غير جازمة و « الأمرُ » نائب فاعل « لوسّد » والجار والمجرور « إلى غير » متعلق بوسّد « فانتظر » الفاء واقعة في جواب الشرط « انتظر » فعل أمر و « الساعة » مفعول به.

الأبحاث البلاغية :

١ – قوله « بينما النبي يحدّث » جملة خبرية من الضرب الابتدائي ، والغرض منها « فائدة الخبر » و « بينما » مثل « بينا » من ظروف الزمان و « ما » زائدة .

٢ – قوله « متى السّاعةُ ؟ » لفظ « الساعة » كناية عن القيامة ، وعن نهاية الدنيا ، وفناء العالم ، وقد كثر استعمال الساعة مكان القيامة حتى أصبح كأنه حقيقة معلومة .

٣ – قوله « فكره ما قال » تكرار الجملة الفعلية « قال » يفيد الايضاح ودفع الالتباس والإبهام .

٤ – قوله « ضيّعتْ الأمانةُ » شبّه التكاليف الشرعية بالأمانة ، بجامع وجوب الحفظ والرعاية في كلٍ ، ثم حذف المشبه وصرح بالمشبّه به ، على سبيل « الاستعارة الصريحية » .



٥ – قوله « إذا وسّد الأمر إلى غير أهله » كناية عن إسناده إلى غير الأكفاء ذوي الجدارة .

الشرح الأدبي :

في مدرسة النبوّة ، وعلى يدي النبي الهادي الكريم ، والمربى الأعظم ﷺ تلقى أصحاب رسول الله علومهم ، ونشأوا تلك النشأة الفاضلة ، بعد أن غرفوا من بحر الكمال ، ونهلوا من معين العلم ، فكانوا نجوماً زاهرة ، وبدوراً ساطعة ، وتخرجوا من مدرسة النبوّة يحملون للعالم مشاعل الهداية والنور ، ويرشدونهم إلى طريق الخير والسعادة !.

من أين تخرّج أصحاب رسول الله ؟ وأين درسوا ، ومن أي جامعة كبيرة حملوا هذه الشهادات العالية الرفيعة ، التي أصبحوا بها أساتذة الدنيا وأساطين العلم والثقافة ؟! إنهم درسوا على يدي النبي الكريم ، وتلقوا علومهم من « فم » النبوّة ، وتخرجوا من « المسجد » الذي كان – ولا يزال – أكبر مصدر للإشعاع العلمي ، وأعظم مركز للعلوم والعرفان ، فمنه تخرّج العلماء والأدباء ، ومنه ظهر الشجعان والأبطال ، وقد صدق من قال :

« أطلعَ المسجدُ الكريم أناساً أنتجتهمْ مدارسُ القرْآن »
« صقَلَتهمْ يدُ النبيّ فأضحَوا غـرّةَ الدّهْرِ في جبينِ الزّمان »

هذا هو رسول الله ﷺ يجمع أصحابه في المسجد ، ويجلس إلى جانبهم كواحد منهم ليعظهم ويذكرهم ويرشدهم الى ما فيه سعادة الدنيا والآخرة ، ويدخل اعرابي فيرى رسول الله يحدّث أصحابه فيقف يستمع الى هديه الشريف ، ثم يلقى عليه سؤالاً قبل أن يتمم الرسول ﷺ كلامه ، يسأله عن الساعة يريد ان يعرف أحوالها ويظهر من سؤاله أنه كان مشغول البال والفكر بأمر الساعة وأمر القيامة ، ولكنّ الرسول

عليه افضل الصلاة والتسليم لم يجبه ، وبقى متابعاً لحديثه ، وهنا يظن بعض الصحابة أنّ الرسول الكريم لم يسمع سؤاله ، والبعض الآخر يقول: إن الرسول قد سمع كلامه ، ولكنّه كره أن يجيبه لأنه لم يتمم بعد حديثه ويستمر الرسول في حديثه حتى اذا انتهى منه التفت الى أصحابه يسألهم أين السائل عن الساعة ؟ فيجيبه الأعرابي ها أناذا يا رسول الله ، أي ها أنا حاضر بين يديك أسمع لكلامك ، وكلّي انتباه الى ما تقول ، فيجيبه الرسول ﷺ بتلك الكلمة الرائعة الجامعة [إذا ضيّعت الأمانة فانتظر الساعة] وحقاً إنها لكلمة هادفة ، وحكمة بالغة من جوامع كلِمِه ﷺ فالأمانة إذا ضاعت ، والمسؤولية إذا فقدت ، والأمور إذا تقلدها الجُهّال ، وأصبحت الحياة فوضى ، فإن ذلك أكبر برهان على قرب قيام الساعة ولقد أحسن من قال :

« لا يصلحُ الناسُ فوضى لا سَراة لهمْ
ولا سَراةَ إذا جُهّالهمْ سادُوا »

« تبقى الأمورُ بأهلِ الرأي ما صلحت
فإنْ تولّتْ فبالأشرارِ تنقادُ »

فالأعمال إذا تسلّمها الأغرار الجهال ، ومقاليد الحكم إذا أصبحت بيد الأشرار والفجار فسلام على الدنيا وسلام على أهلها ، ولقد صدق المصطفى الهادي البشير حين قال :

« إذا كانَ أمراؤُكمْ شِرارَكمْ ، وأغنياؤُكم بخلاءَكُمْ ، وأمورُكمْ إلى نسائِكمْ ، فبطنُ الأرضِ خيرٌ لكمْ منْ ظهرِها » .

* * *

« موعظة النساء »

الحديث الثامن والعشرون :

عَنْ عبدِ اللهِ بنِ عمر رَضيَ اللهُ عَنْهُما أنَّ رسُولُ اللهِ ﷺ قالَ :

(يا مَعْشَرَ النِّساءِ تَصَدَّقْنَ وأكثِرْنَ من الاسْتِغْفارِ، فإني رأيْتكنَّ أكثَرَ أهلِ النّارِ ، فقَالتْ امْرأةٌ منهنَّ جزْلَةٌ : وما لنَا يا رَسُولَ اللهِ أكثَرَ أهلِ النَّارِ !! قالَ : تُكثِرْنَ اللَّعْنَ ، وتَكْفُرْنَ العَشِيرَ .. ومَا رَأيْتُ مِنْ نَاقِصاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أغلبَ لِذي لُبٍّ مِنْكنَّ قَالتْ يا رسُولَ اللهِ : وما نُقْصَانُ العَقْلِ والدِّينِ ؟ قالَ : أمّا نُقْصانُ العقلِ فشهادةُ امرأتَيْنِ تعدِلُ شهادةَ رجُلٍ ، فهذا مِنْ نُقْصانِ العَقْلِ ، وتمكثُ اللَّيالِيَ ما تُصَلِّي وتُفْطِرُ في رَمَضانَ ، فهذا مِنْ نُقْصانِ الدِّينِ)

« رواه البخاري وابن ماجة »

يا معشر النساء : المعشر : الجماعة . قال تعالى [يا معشر الانس والجن] وفي الحديث : [يا معشرَ الشَّبابِ مَنْ استطاعَ منكم البَاءَةَ فليَتَزَوَّجْ ..] وهو مفرد في اللفظ ولكنه جمع في المعنى قال الأزهري : المعشر مثل النفر ، والقوم ، والرهط ، كلُّها معناها الجمع ، ولا واحد لها من لفظها ، ويجمع المعشر على معاشر فهو جمع الجمع قال ﷺ [نحن معاشر الأنبياء لا نورث ..] الحديث .

رأيتكُنَّ : أي علمتكن أكثر أهل النار (فرأى) هنا قلبية ، وليست بصرية ، وجاء في رواية البخاري (أريتُكنَّ) بدل (رأيتكن) فتكون حينئذ رؤيا منامية رآها النبيﷺ في نومه .

امرأة جَزْلة : قال ابن الأثير : امرأة جَزْلة : أي ذات رأي وذات شجاعة ، ويجوز أن يكون المعنى : ذات كلام جَزْل أي قوي شديد .

تكثرن اللعن : اللعن في اللغة الشتم والسب ، والمراد به هنا الطرد من رحمة الله قال تعالى لإبليس : (وإنَّ عليكَ لعنتي إلى يوم الدينٌ) وفي الحديث (من ادعى الى غير أبيه ، أو انتسب إلى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) . فالمرأة من عادتها إكثار الشتم واللعن حتى لأولادها .

تكفرن العشير : المراد بالكفر هنا جحود نعمة الزوج ، و (العشير)

من العشرة وهي الصحبة . قال تعالى : (وعاشِرُوهنَّ بالمعروف) ، وسمي بالعشير لأنـه يعاشر زوجته وتعاشره . قال (الفراء) : ويجمـع العشير على (عشراء) كجليس وجلساء ، ولكنَّ العرب تكره هذا الجمع لئلا يشابه قولهم (ناقة عشراء) ويستبدلونه بقولهم (معاشروك ، وعشيروك) .

لذي لب : المراد بذي اللب : الرجل العاقل الحازم ، واللب : هو قلب الثمرة وهو أفضل ما فيها ، ويطلق عـلى العقل لأنه أفضل ما في الانسان . قال تعالى (فاعتبروا يا أولي الألباب) وجاء في رواية البخاري ما يدل على صورة كُفْرانِ المرأة وجحودها لنعمة الزوج (لو أحسنتَ إلى إحداهنَّ الدهر ثم رأت منك شيئاً قالت : ما رأيتُ منك خيراً قطُّ) .

ناقصات عقل : العقل ضد السفه والحماقـة ، وهو مأخوذ من (عقال الناقة لأنه يعقـل صاحبه أي يحبسه عن السفه والجهل ، ولهذا قال العرب : عقَلَ الدواء بطنه . أي أمسكه عـن الانطلاق .. قال (العيني) : (والعقل ، والحِجَى ، والنُّهى) كلها متقاربة في المعنى قال تعالى (إنَّ في ذلـكَ لآياتٍ لقومٍ يعقلون) . والمراد بنقص العقل خفته ، وعدم التصرف السليم ، وذلك بسبب (العاطفة) وتغلبها عند المرأة ، بخلاف الرجل فإن عقله يغلب عاطفته ، قال الشاعر :

« ذو العقل يشقى في النعيم بعقله
وأخو الجهالة في الشقـاوة ينعم »

تمكث الليالي : أي تلبث الأيام والليالي بدون صلاة ولا صيام بسبب الحيض أو النفاس .

الأبحاث النحوية :

(رأيتكنّ أكثرَ) رأي تنصب مفعولين لأنها ليست بصرية و (الكاف) الضمير مفعول أول و (اكثر) مفعول ثانٍ قال ابن مالك :

« انصبْ بفعلِ القلبِ جزأي ابتدا : أعني رأى ، خالَ ، علمتُ ، وجدا »

(امرأة جزلة)امرأة فاعل و (جزلة) صفة لها، وصفةُ المرفوع مرفوع .. وجملة (تكثرن اللّعن) مقول القول ، (من ناقصات) مِنْ : زائدة و (ناقصات) مفعول أول ، و (أغلبَ) مفعول ثانٍ وهو أفعل تفضيل .

فائدة : يشترط في (مِنْ) الزائدة أن يسبقها نفي أو استفهام ، وأن يأتي بعدها نكرة قال ابن مالك :

« وزيد في نفيٍ وشبهه فجرّ : نكرةً كما لباغٍ مِنْ مَفرّ »

الأبحاث البلاغية :

١ – قوله (أكثرن الاستغفار ، رأيتكن أكثر أهل النار) فيه من المحسّنات البديعية ما يسمى بـ (السّجع) وقد تقدّم تعريفه وشرطه فيما سبق .

٢ – قوله (تكثرن) و (تكفرن) بينهما من المحسّنات البديعيّة ما ما يسمى بـ (الجناس الناقص) وذلك لاختلاف بعض الحروف فيه .

٣ – قوله (لذي لبٍّ) كناية لطيفة فقد كنّى عن (الرجل الحازم البصير بذي اللّب . فهو كناية عن (موصوف) وقد جاء التصريح بذكر الرجل في رواية البخاري الأخرى (ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودين أذهبَ للُبّ الرجلِ الحازمِ منكنّ).

٤ - قوله (أما نقصان العقل ... الخ) فيه من المحسنات البديعية ما يسمى بـ (التقسيم) وهو أن يذكر متعدد ، ثم يضاف إلى كل قسم ما له على جهة التعيين مثل قوله تعالى (كذّبتْ ثمودُ وعادٌ بالقارعة ، فأمّا ثمودُ فأُهلِكوا بالطّاغية . وأمّا عادٌ فأُهلِكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية) وهنا جمع بين (العقل والدين) ثم أضاف إلى كلٍ ما يخصّه من شواهد النّقص

الشرح الأدبي :

ليس من شك في أنّ النساء شقائق الرجال ، وعلى كواهلهنّ تُبنى الأجيال وتقوم المجتمعات ، والاسلام أول من نادى بتحرير المرأة من ظلم والطغيان ، وأقامها الى جانب الرجل معززة مكرمة ، موفورة الكرامة ، وامتنّ على الانسان بأن خلق له من جنسه شريكة الحياة ، تواسيه في السراء والضراء ، وتبادله الحب والعطف ، وتدفع عنه قسوة العيش ، ومرارة العذاب ، فقال عزّ من قائل (ومن آياته أن خلقَ لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا اليها ، وجعل بينكم مودة ورحمة) .. ولكنّ المرأة التي خلقت لتكون (جنة) قد تكون (جحيماً) والمرأة التي هي السبب الأول في نعيم الرجل قد تكون سبباً في شقائه .. وذلك بسبب طغيانها وتمردها ، فهي نور وظلام ، وجنة وجحيم ، وسعادة وعذاب ، فهي تستطيع أن تجعل حياة الرجل سعادة أو شقاوة وتستطيع أن تذيقه طعم النعيم ، أو طعم الجحيم !

والرسول عليه الصلاة والسلام بهذا التوجيه النبوي الرشيد الذي يصل الى سويداء القلب . والذي يتناول النفس من جوانبها ويسبر أعماقها ، يعالج - بدقة وحكمة - هذا الانحراف والشذوذ الموجود عند الكثيرات من النساء كأنه فطرة أو طبيعة ، ويخاطب فيهن العاطفة الرقيقة التي ستحرك فيهن جذوة الايمان .. أخرج البخاري في صحيحه انّ النبي ﷺ

خرج في يوم فطر أو أضحى ، فمرّ على النساء فوعظهن وذكّرهن ، وكان في ضمن توجيهه الرشيد لهن أن قال : « يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الاستغفار فإني رأيتكنّ أكثر أهل النار » .. وبهذه الكلمات التلائل تحركت نفوسهن نحو الخير وأشفقن من عذاب الله الذي أخبرهن به الصادق المصدوق عليه الصلاة والسلام .. فقالت امرأة منهن جريئة ذات رأي وحصافة ، وذات منطق وإدراك ، وما لنا يا رسول الله اكثر أهل النار ؟ وهو سؤال تبدو عليه علائم الحذر والاشفاق ، وليس سؤال تعنت أو اعتراض ، انه سؤال المتفهم البصير ، الذي يريد أن يعرف الحق ليتبعه ، ويسير على ضوئه ليستنير له الطريق ، وهنا وضّح لها الرسول عليه الصلاة والسلام سبب شقاء النساء وسبب هـذا البلاء الذي أصابهن وهو (دخول النار) وهو سبب منطقي معقول حيث قال (تكثرن اللعن وتكفرن العشير) أفليست هذه طبيعة النساء بوجـه عام ؟ أو ليس هذا حقيقة عند كل امرأة حتى الصالحات منهن ؟ جحود لنعمة الزوج ، وإنكار لإحسانه ، وإكثار من اللعن والشتائم حتى على أولادهن .. وكلُّ ذلك من تلاعب العاطفة بهـن ، وتأثرهن بحكم تغلب العاطفة ، ولقد وضّح عليه الصلاة والسلام هذا المعنى في حديث آخر حيث قال (لو أحسنتَ إلى إحداهُنَّ الدهر ثم رأتْ منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط) .

ثم يمضي عليه الصلاة والسلام في بيان حقيقة واقعية وهي : أنَّ هذه المرأة الضعيفة ، مع ضعفها وعجزها ، وعدم استطاعتها للوصول إلى منزلة الرجل من حيث القوى الجسمانية والعقلية ، مع ذلك فإنها توقع الرجل في شباكها وتتغلب عليـه بدهائها ، فهي أقوى من الرجل في ميدان الدهاء والتأثير (وما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أغلبَ لذي لبٍ منكنَّ) .انها حقيقة ملموسة ، وأمر من قديم الزمن معلوم ، فمن الذي أثر على « آدم » عليه السلام حتى أكل من الشجرة غير حواء ؟

ومن الذي زَجَّ بيوسف الصدّيق في غياهب السجن غير مكر النساء؟!
وصدق الله (إنّ كيدكن عظيم) !

وهنا نقطة هامة ينبغي التنبه لها وهي أن المرأة ليست بنصف عقل الرجل كما يدعي بعض اعـــداء الإسلام وينسبون ذلك إلى رسول الله وحاشاه ، فالرسول الكريم لم يقل المرأة بنصف عقل وإنما قال (ناقصات عقل ودين) وفرقٌ كبير في التعبير بـــين اللفظين ، والنقص أمر نسبي وهو إنما جاء من تغلب العاطفة على المرأة .

فالرجل يتغلب عقله على عاطفته ، والمرأة تتغلب عاطفتها على عقلها، وهذا من حكمة الله عز وجل فلولا العاطفة القوية عند النساء لما عاش طفل ولا تربى وليد ، وتربية الاطفال تحتاج الى عاطفة قويـة لا الى فلسفة عقلية ، والعاطفة تتأرجح وتتبدّل في كل وقت ولهذا تقول المرأة للرجل :

(ما رأيت منك خيراً قط) وإنهـــا لكلمة ثقيلة تدل على نكران الجميل .. والله الموفق والهادي سواء السبيل

* * *

« من معجزات النبوة »

الحديث التاسع والعشرون :

عَنْ ثَوْبَانَ رضِيَ اللهُ عَنْهُ أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ :

« إنَّ اللهَ زَوَى لِيَ الأرْضَ فرَأيْتُ مَشارِقَهَا ومَغارِبَها، وإنَّ مُلْكَ أُمَّتي سَيَبْلُغُ ما زُوِيَ لي مِنْهَا ، وأُعْطِيتُ الكَنْزَينِ : الأحْمَرَ ، والأبيَضَ ، وإنِّي سَألْتُ ربِّي لأُمَّتي ألاَّ يُهْلِكَهُمْ بِسنَةٍ عامَّةٍ ، وألاَّ يُسلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوى أنفسِهِمْ فيَسْتَبيحَ بَيْضَتَهُمْ وإنَّ ربِّي قالَ لي : يا مُحَمَّدُ ، إنِّي إذا قَضَيْتُ قَضاءً فإنَّهُ لا يُرَدُّ ، وإنِّي أعْطَيْتُكَ لأمَّتِكَ ألاَّ أُهْلِكَهُمْ بِسنَةٍ عامَّةٍ ، وألاَّ أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوّاً مِنْ سِوىَ أنفُسِهِمْ فيَسْتَبيحَ بَيْضَتَهُمْ ولَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بأقْطارِها ، حتَّى يَكُونَ بَعضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضاً ، ويَسْبي بَعْضُهُمْ بعضاً » .

« رواه مسلم »

زوى الأرض : أي جمع الأرض وطواها حتى أصبحت مرئيّة أمامه كالبساط المفروش ، يحيط بصره بها .. وفي ذلك بشارة من الله عز وجل لرسوله بانتصار الإسلام ، وفتح البلدان حتى يعمّ أطراف المعمورة .

مشارقها ومغاربها : جمع مشرق ومغرب ، وهو مكان شروق وغروبها .. وإنما جمعت باعتبار أن لكل بلدٍ مشرقاً ومغرباً ، أو باعتبار طلوعها وغروبها في الشتاء والصيف .

الكنزين : المراد بها (الذهب والفضة) لأنها العملة المستعملة في كل زمان ، والكنز هو : ما يكنزه الإنسان ويدخره من الأموال قال تعالى (والذينَ يكنزونَ الذهبَ والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذابٍ أليم) .

سنة عامة : أي بقحط وجدب يهلك عامة المسلمين ، وذلك بأن تمسك السماء عن المطر فلا تنبت الأرض شيئاً .. وتطلق السنة والسنون على (القحط والجدب) قال تعالى (ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ..) وفي الحديث [اللهمَّ اجعلها عليهمْ سنينَ كسِني يوسفَ].

يستبيح بيضتهم : أي يستأصلهم بالإهلاك فلا يبقى منهم أحدٌ ، وبيضة الشيء أكثره ومعظمه ، ومعنى الحديث : لا يسلّط عليهم عدوهم فيفنيهم ويستأصلهم من الوجود .

يسبي : يقال سباه : إذا استرقه والمعنى : يسترقّ المسلم أخاه المسلم فيجعله كالرقيق عنده .

الأبحاث النحوية :

(إن الله زوى) إنّ حرف توكيد ونصب ولفظ الجـــلالة اسمها والخبر هو جملة (زوى الأرض) .

(إنّ ملك أمتي) إنّ حرف توكيد ونصب و (ملك) اسمها والخبر هو جملة (سيبلغ) .

و (أعطيت الكنزين) أعطيت فعل ماض مبني للمجهول وهو ينصب مفعولين ، والتاء نائب فاعـــل و (الكنزين) مفعول ثانٍ .

(الأحمر والأبيض) الأحمر بدل من الكنزين والأبيض معطوف عليه .

(حتى يكون بعضهم) حتى حرف غاية ونصب ، (يكون) مضارع متصرف من (كان) الناقصة (بعضهم) اسمها وهو مضاف والخبر جملة (يهلك بعضاً) .

الأبحاث البلاغية :

١ — قوله (إن الله زوي) جملة خبرية من الضرب الطلبي لأنهـا مؤكدة بـ (إنّ) والمراد من الخبر إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة (فائدة الخبر) .

٢ — قوله « مشارقها ومغاربها » فيه من المحسنّات البديعية ما يسمى بـ « الطباق » وهو من نوع « طباق الايجاب » وهو بين لفظ « المشارق» ولفظ « المغارب » .

٣ — قوله « الكنزين » فسره بعضهم الذهب والفضة فيكون حقيقة ، وفسره بعضهم بأنه « بلاد الروم » و « بلاد الفرس » فيكون كناية وهو « كناية عن موصوف »

٤ – قوله « بسنة عامة » كناية عن القحط والجدب فهو « كناية عن صفة ».

٥ – « يستبيح بيضتهم » كناية عن الاستئصال والإهلاك فهو « كناية عن صفة ».

٦ – قوله « قضيتُ ، قضاءً » فيه من المحسنات البديعية ما يسمى بجناس « الاشتقاق » وجناس الاشتقاق مثل قول الشاعر :

« فيا دمعُ أنجدني : على ساكني نجد ».

ترجمة راوي الحديث :

ثوبان هو مولى رسول الله ﷺ وهو صحابي مشهور يقال انه من العرب من بني حمير ، وقيل من السراة اشتراه النبي ﷺ ثم اعتقه فخدمه إلى أن مات ثم تحوّل إلى الرملة ثم حمص ومات بها سنة /٥٤/ هجرية وروى ابن السكن قال لقيت ثوبان فحدثني أن رسول الله ﷺ دعا لأهله فقلت : أنا من أهل البيت . فقال في الثالثة : ما لم تقم على باب أو تأت اميراً تسأله . وروى ابو داود عن ثوبان قال قال رسول الله ﷺ : من يتكفل لي أن لا يسأل الناس وأتكفل له بالجنة . فقال ثوبان : أنا ، فكان لا يسأل أحداً شيئاً . (الاصابة في معرفة أسماء الصحابة) .

الشرح الأدبي :

مع هذه الباقة الجميلة من هدى سيد المرسلين ومع الغرر والدرر التي نطق بها النبي الأمي .. ومع معجزاته الخالدات التي أخبر عنها الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهدى ، تأتي البشائر تتلوها مواكب النصر لهذا الدين العظيم .. فالرسول صلوات الله وسلامه عليه يبشر أمته بأن الله عز وجل سيفتح عليهم البلاد ، وبأن دينه سينتشر في مشارق الأرض

ومغاربها ، وأن أمته ستملك أكثر المعمورة ويدخل الناس في دين الله أفواجاً ، وأكرمْ بهذه البشارة العظيمة التي بشر الرسول الكريم بها أمته ! فما هذهِ الخيرات ، وما هذه الفضائل ، إلا من فيض هـــذا الدين العظيم ، ومن بركاته التي لا تنقطع ولا تنضب على مر الأيام ولا تذهب على كرّ السنين فلقد أكرم الله هـــذه الأمة فجعلهـا خير الأمم ، وجعل دينها خير الأديان ، وانزل عليها أشرف كتاب وقال وهو أصدق القائلين « كنتم خيرَ أمةٍ أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » الآية .

ولقد تحققت بشارة الرسول ﷺ فملك المسلـــون مشارق الأرض ومغاربها ، ودخل الناس في دين الله أفواجـاً ، ففتحوا البلاد وسادوا العباد ، وأوصلوا هذا النور الإلهي الى آفاق العالم ، يحملون راية الحق ، ويرفعون لواء العدالة ، ويرشدون العالم إلى سواء السبيل ويخرجون الناس من الظلمات الى النور . وبصدق هؤلاء المسلمين وبإخلاصهم لله ورسوله وبجهادهم وصبرهم وتضحيتهم ، كان النصر لدعوة الإسلام وكان الفتح والعزة والسيادة للمسلمين ، ولقد بلغت الفتوحات الإسلامية ذروة الكمال ، ووصلت قمة المجد ، حين اكتسحت أعظم دولتين ، وأكبر أمبراطوريتين ، همـا دولة (الفرس) ودولة (الروم) .. اللتان كانتا تتقاسمان زعامة العالم ، وتمدان نفوذهما على أوسع المناطق وأكثر البلاد ، وتكاملت البشارة ، وتزايدت الفرحة بالقضاء على هاتـين الدولتين الكبيرتين العاتيتين ، وحـــلَّ الإسلام في ربوعها وتحقّق قول الرسول الأعظم (وأعطيتُ الكنزينِ الأبيضَ والأحمرَ) ومـــا هذان الكنزان الثمينان إلا رمز وإشارة إلى تملّك أمـــة محمد ﷺ لهاتين الدولتين ولاملاكها حيث كان الذهب هو العملة السائدة في بـلاد الروم والفضة هي العملة السائدة في بلاد الفرس .. أفليس في هذا معجزة لمحمد بن عبد الله الذي أخبر وبشّر بأن أمته ستملك أقاصي الدنيـا وأن أعظم

الدول ستدخل في دين الله ؟!

وبعد ذلك توجهت رأفة النبي الكريم ورحمته بأمته إلى أن يطلب من ربه أن يحفظ المسلمين من عدوهم فدعا لهم بدعوتين عظيمتين كريمتين .

وأكرمْ بهما من دعوات صالحات !!

دعا لهم ألا يسلّط عليهم عدواً من غيرهم فيهلكهم ، ويستأصل شأفتهم ويجعلهم أثراً بعد عين ، ويقضي عليهم القضاء المبرم . كما دعا ربه ألا تهلك أمته بالقحط والجدب كما هلك بعضُ الأمم السابقين حيث أخذهم الله بسنين عجاف وأهلكهم بالجوع والعطش .

وهذه الدعوات الطاهرات إن دلت على شيء فإنما تدل على كمال شفقته ﷺ على أمته ورحمته بهم... ولا عجبَ فقد قال رب العزة جل جلاله ممتناً على هذه الأمة ببعثة السراج المنير (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) وقد استجاب الله دعاءه فمنع عنهم الهلاك بتسليط الأعداء ، أو اهلاكهم بسبب القحط والجدب ، ولكنه أخبره بأن صيحة الفناء ، والدمار سيأتيهم من أنفسهم حيث يقتل بعضهم بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً ، وهذا ما ظهرت بعض آثاره في هذا الزمان وإنا لله وإنا إليه راجعون !

* * *

« اخبار الارض »

الحديث الثلاثون :

عَنْ أبي هُرَيْرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قرَأ الآيةَ الكريمة: (يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أخْبَارَها) .. ثُمَّ قال : أتدرونَ ما أخبارُها ؟ قالوا اللهُ ورسُولُهُ أعلمُ ، قالَ : أخبارُها أنْ تَشْهدَ على كُلِّ عَبْدٍ أوْ أمَةٍ بِمَا عَمِلَ على ظَهْرِهَا ، تَقُولُ : عَمِلْتَ في يَوْمِ (كذا) (كذا وكذا) فهذه أخبارها ...)

« رواه الترمذي »

الأبحاث العربية :

تحدّث أخبارها : أي تنبيء عمّا وقع على ظهرها من خير أو شرّ ، ومن صالح أو طالح .. والأخبار جمع خبر ، وهو الحدَث ، أو الأمر الذي يقع من الانسان أو عليه ، سواءً كان خيراً أو شراً قال الشاعر :

« بينا يُرى الإنسان فيها مخبراً
فإذا به خبر من الأخبار »

عبد أو أمة . المراد به الذكر والأنثى ، وليس المراد بالعبـد المملوك الذي يقابل الحرّ ، ولا بالأمة المملوكة التي تقابل الحرّة.

الأبحاث النحوية :

(قرأ يومئذ) قرأ فعل ماضٍ ، والفاعل ضمير مستتر يعود عـلى الرسول ، وجملة (يومئذٍ تحدّث أخبارها) كلمة قصد لفظها في محل نصب مفعول به لـ (قرأ) أي قرأ هذه الآية . (أتدرون ما أخبارها ؟) الهمزة للاستفهام و (تدرون) مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم و (الواو) فاعل ، و (ما) استفهامية في محل رفع مبتدأ ، و (أخبارها) خبر المبتدأ ، وجملة (ما أخبارها) مفعول به لفعل تدرون .

الأبحاث البلاغية :

١ – قوله (يومئذٍ) التنوين يسمى تنوين العوض ، وهو هنا عوض عن كلمة وهي لفظ (القيامة) أي يوم القيامة فهو هنا مجاز بالحذف ويسمى مجازاً مرسلاً مثل (واسأل القرية) أي أهل القرية .

٢ – قوله (أتدرون ما أخبارها ؟) جملة انشائية استفهامية وقد خرج الاستفهام عن غرضه الأصلي إلى غرض آخر وهو (التشويق) والترغيب لمعرفة ما يُلقى على الإنسان وفي هذا الأسلوب إثارة لانتباه السامع.

٣ – قوله (كذا وكذا) فيه كناية لطيفة فقد كنّى عن الأمر الذي فعله الإنسان في الدنيا بهذه الكناية (كذا وكذا) ومثله قوله (عملت في يوم (كذا) أي في اليوم الفلاني فهو كناية أيضاً .

الشرح الأدبي :

هذه الأرض كم شهدت على ظهرها من ظلم .. وكم مرّ عليها من أحداث . وكم تتابعت عليها المشاهد والصور .. من صالح أو طالح ، ومن خير أو شر . ثم نسي أهلها ما صنعوا عليها ولكنّها بقيت محتفظة

بكل ما وقع فوق ظهرها ، وسوف تحدث بأعمال الناس يوم القيامة « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً » . وسوف تشهد في ذلك اليوم الرهيب على كل انسان بما جنته يداه !. عجيب أمر هذا الإنسان وغريب شأنه ، يظن أنه ان فعل المنكر خفية ، أو أتى بالقبيح مستتراً ، بعيداً عن الناس وبعيداً عن نظراتهم الجارحة فقد نجا من العذاب ، وأفلت من الملامة .. وما يدري المسكين أن المكان الذي ارتكب فيه المعصية سيشهد عليه ، وان الأرض التي مشى عليها ووطئها بقدميه ستشهد على عمله وتخبر بما فعل في تلك اللحظات التي كان غافلاً فيها عن ربه ، والتي قاده اليها الشيطان ، فهذا هو رسول الله ، الصادق المصدوق ، الذي لا يقول إلا حقاً ، ولا يتكلم إلا صدقاً ، يخبر عن تلك الحقيقة التي نسيها الإنسان ، وهي أن المكان والزمان ، وأن الأشهر والأيام ، سوف تكون شاهدة على عمل الانسان يوم القيامة ، وليس هذا بمستحيل على قدرة الله عز وجل ، فالذي أنطق الانسان سوف ينطق الجماد والنبات وينطق الحواس والاعضاء وصدق الله « اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون » فرسول الله صلوات الله عليه قرأ يوماً من الأيام هذه السورة الكريمة حتى وصل إلى قوله « يومئذ تحدث أخبارها » فسأل أصحابه الكرام سؤال المتنبه المشير إلى قدرة الله « أتدرون ما أخبارها » ؟ ورد عليه أصحابه رد أدب ووقار فقالوا: « الله ورسوله أعلم » وهنا يبين لهم صلوات الله عليه تلك الحقيقة التي ينبغي ان يضعها الانسان نصب عينيه ، وهي ان الانسان لن يضيع من عمله شيء ، فالارض تشهد بما صنع ، والطبيعة تنطق بما عمل ، وسيكون الجزاء على قدر العمل .

فما أحمق ذلك المغرور الجاهل ، الذي يعمل الشر بعيداً عن الناس ، ظناً منه أنه سيفلت من عذاب الله وينجو من حسابه ؟

***

حقيقة الحياء »

الحديث الواحد والثلاثون :

عَنْ أبي هُرَيْرةَ رضيَ اللهُ عنهُ أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ :

(استَحيُوا من الله حقَّ الحَياءِ ، قَالُوا : إنّا لَنَستَحيي من اللهِ والحمدُ للهِ ! قال : لَيْسَ ذَاكَ ، مَنْ اسْتَحيا من اللهِ حقَّ الحَياءِ فَلْيحفَظ الرَّأسَ وما وعى ، ولْيَحفَظ البطْنَ وما حَوَى ، ولْيَذكر الموْتَ والبِلى ، ومَنْ أرادَ الآخرةَ تَركَ زينةَ الحياةِ الدُّنيا . مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقدْ اسْتَحيا من اللهِ حقَّ الحياءِ) .

« رواه الترمذي »

الأبحاث العربية :

استحيوا : الحياء هو انقباض النفس عن إتيان أمر مخافة الذم ، وهو نوعان : حياء ممدوح ، وحياء مذموم .. فالممدوح مثل أن يترك القبيح حياءً من الله ، والمذموم مثل أن يترك المطالبة بحقوقه ، أو يترك السؤال عن أمور دينه

وفي حديث عائشة : (رحم الله نساء الأنصار ما منعهن الحياء أن يتفقّهن في الدين . قال الله تعالى [والله لا يستحيي من الحق] .

(الرأس وماوعى): المراد ما حواه الرأس وما اجتمع فيه من البصر ، والسمع ، والكلام ، فلا يسمع إلى فحش ولا يتكلم بهُجْر ، ولا ينظر إلى محرّم قال تعالى : (إن السمعَ والبصرَ والفؤادَ كلُّ أولئك كان عنه مسئولاً) .

(البطن وماحوى): المراد يحفظ نفسه من أكل الحرام ويحفظ فرجه من الفاحشة والزنى ، لأنّ البطن يحوي شهوة الطعام ، وشهوة الجنس قال تعالى : (والذين هم لفروجهم حافظون) .

(البِلَى) : بكسر الباء وفتح اللام بمعنى الفناء والهلاك .

(زينة الدنيا) : المراد زخرفها وبهرجها الخادع الذي يفتتن به كثير من الناس قال تعالى : (لا تمدّنّ عينيك إلى ما متّعْنا به أزواجاً منهمْ زينةَ الحياةِ الدّنيا لنفتنهم فيه ، ورزقُ ربّكَ خيرٌ وأبقى) .

الأبحاث النحوية :

(استحيوا) فعل أمر و (الواو) فاعل ، والجار والمجرور (من الله) متعلق باستحيوا ، (حقّ) مفعول مطلق و (الحياء) مضاف إليه . (ليس ذاك) ليس ناقصة من أخوات (كان) و (ذاك) اسمها ، والخبر محذوف تقديره : ليس ذاكَ الحياءَ المطلوب .

(فليحفظ) الفاء واقعة في جواب الشرط ، و (اللام) لام الأمر ، و (يحفظْ) مضارع مجزوم بلام الأمر ، و (الرأس) مفعول به و (ما) اسم موصول بمعنى الذي معطوف على الرأس ، (وَعَى) فعل ماض والفاعل ضمير يعود على الرأس .

الأبحاث البلاغية :

١ — (استحيوا من الله) : هذا الأمر خرج عن صيغته الأصلية إلى (الإرشاد) وهو من قسم الإنشاء .

٢ — (ليس ذاك) : لفظ (ذاك) كناية عن الشيء المذكور سابقاً أي ليس الحياء الذي تعدونه بذلك (الحياء الحقيقي) الذي ينبغي أن تكونوا عليه فهو (كناية) عن صفة .

٣ — (للرأس وما وعى ، والبطن وماحوى ..) الخ فيه من المحسنات البديعية ما يسمي بـ (السجع) وهو من قسم (السجع المرّصع) لاتفاق الحروف في الوزن والتقفية .

٤ — (ومن أراد الآخرة) أي نعيم الآخرة وسعادة الآخرة فهو على حذف مضاف مثل قوله تعالى (واسأل القرية) أي اهلها وهو من نوع (المجاز المرسل) .

٥ — (أراد الآخرة) (ترك زينة الدنيا) بين هاتين الجملتين من المحسنات البديعية ما يسمى (المقابلة) وهي كما تقدم أن يؤتى بمعنيين ، أو معان متوافقة ، ثم يؤتى بما يقابلها على الترتيب فإن لفظ (أراد) يقابلها (ترك) ولفظ (الآخرة) يقابلها (الدنيا) .

الشرح الأدبي :

في هذا الحديث الشريف قبس من أقباس النبوة ، وشعلة من شعل

الايمان ، يرشدنا اليها نبي الهدى والرحمة ، لنتخذها نبراسا لنا في الحياة ، يضيء أمامنا الطريق ، ويأخذ بأيدينا إلى مدارج العز والسعادة .. فلا خير في الانسان اذا تعرى عن الفضائل ، ولا قيمة له إذا فقد الحياء والأخلاق ، فالأمم إنما تشاد بأخلاقها ، والمجتمعات إنما توزن بآدابها ، وإذا لم يكن عند المرء خلق وأدب فلا خير فيه ، وقديماً قال شاعرنا العربي :

« اذا لم تخش عاقبة الليالي   ولم تستحي فاصنع ما تشاء »
« فلا والله ما في العيش خير   ولا الدنيا اذا ذهب الحيـاء »
« يعيش المرء ما استحيا بخير   ويبقى العود ما بقي اللحاء »

فالرسول صلوات الله يدعو أصحابه في هـذا الحديث الشريف إلى التخلق بخلق الحيـاء الكريم الذى هو من صفات (المؤمن الكامل) ويرشدهم الى حقيقة معنى الحياء . الحياء الذي يحبه الله تعـالى ويريده لعباده .. الحياء الصادق الذي يعصم صاحبه من الانحراف ، ويجنبه من التردي في مهاوي الزيغ والضلال .. فيقول صلوات الله عليه :

(استحيوا من الله حق الحياء .) فليس المقصود هو مجرد التظاهر بالحياء ، أو التخلق به بالشكل الذي تعارف عليه الناس ، بل الغرض ان يعرف المؤمن (حقيقة) معنى الحياء ، المنبعث من جوهر الايمان . فالحياء الحقيقي هو الذي يسمو بصاحبه نحو الكمـال ، ويرتفع به عن حضيض المعاصي الذي انغمس فيه كثير من الناس ، حيث ساروا مع شهواتهم وأهوائهم ، ولم يصونوا جوارحهم وأعضاءهم .. ولذلك فقـد نبه عليه الصلاة والسلام إلى هذا المعنى الدقيق حين قـال (من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى ، وليحفظ البطن ومـا حوى ،

وليذكر الموت والبِلى) .

نعم هذا هو الحياء الحقيقي الذي يدعو اليه نبي الاسلام ، وهو أن يحفظ الانسان حواسه ، يحفظ سمعه وبصره ولسانه ، فلا يسمع إلى فحش أو هجر ، ولا ينظر الى محرم او شهوة ، ولا يتكلم بقبيح او منكر ، وكذلك يحفظ بطنه فلا يُدْخِل اليه حراماً ، ويحفظ فرجه فلا يرتكب فاحشة أو يلوّث شرفاً ، ويحفظ يديه ورجليه وسائر أعضائه وحواسه فلا يمشي الى رجس ، ولا يشهد زوراً ، ولا يعتدي على إنسان ، وهكذا يكون قد تحقق بمعنى الحياء ، وتخلق بذلك الخلق الكريم الطـــاهر ، الذي كان من خلق الرسول العظيم .. ولقد صدق عليه الصلاة والسلام حين قال (إنّ مما أدرك الناس من كلام النبوّة الأولى : اذا لم تستـح فاصنع ما شئت) .

* * *

« مكانة المجاهد في الاسلام »

الحديث الثاني والثلاثون :

عَنْ أبي هُرَيْرَة رَضيَ اللهُ عنهُ ، عن النبي ﷺ أنهُ قال : (تَضمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرجَ في سبيلهِ ، لا يُخْرِجُهُ الا جِهادٌ في سَبيلي ، وإيْمانٌ بي ، وتَصْديقٌ بِرُسُلي ، فَهو ضامِنٌ أنْ أُدْخِلَهُ الجنَّةَ ، أو أرْجِعَهُ إلى منزلِهِ الذي خَرَجَ مِنْهُ نَائِلاً ما نَالَ مِنْ أجْرٍ أوْ غَنيمَةٍ ، والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ ، ما مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ في سبيلِ اللهِ إلاَّ جاءَ يَوْمَ القِيامَةِ كَهَيئتِهِ يَوْمَ كُلِمَ .. لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ ، وريحُهُ ريحُ مِسْكٍ ، والَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلا أنْ يَشُقَّ على المُسْلمينَ ما قَعَدْتُ خِلافَ سَرِيَّةٍ تَغْزُوْ في سبيلِ اللهِ أبداً ، ولكِنْ لا أجِدُ سعَةً فأحْمِلُهمْ ، ولا يَجِدُوْنَ سَعَةً ويَشُقُّ عَليهم أنْ يَتَخلَّفُوا عنّي ، والَّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوَدِدْتُ أنْ أغْزُوَ في سبيلِ اللهِ فأُقتَلَ ، ثُمَّ أغزُو فأُقتَلَ ثمَّ أغزُوَ فاقتل) .

« رواه مسلم »

الابحاث العربية :

تضمّن : أي تكفّل على سبيل الايجاب على النفس تفضّلا وكرما

إيمان بي : الايمان هو : اعتقاد بالقلب ، وتصديق باللسان ، وعمل بالجوارح وأصل الايمان (الاعتقاد) و (التصديق) الجازم الذي لا يخالطه شك أو ارتياب .

وتصديق برسلي : أي اعتقاد بصدق الرسُل الكرام ، وفيه دليل على أن الايمان كلٌ لا يتجزأ فلا يصح الايمان ببعض الاجزاء وانكار بعضها الآخر كالايمان بالله وتكذيب الرسل

نفس محمد بيده : هذا قسم بالذات المقدسة ، ذات البارى تبارك وتعالى لأنّ نفوس جميع الخلائق بيده ، فهو المتصرّف فيها بالاحياء والإماتة ، والخلق والايجاد .

كَلْم : أي جرح ومعنى يُكلَم أي يجرح ، والمراد ما من جرحٍ يجرح في سبيل الله الا جاء يوم القيامة على هيئته ، لونه كلون الدم وريحه كريح المسك .

أجر أو غنيمة : الاجر ثواب الآخرة ، والغنيمة ما يربحه المجاهدون من أعدائهم .

يَشُقّ : أي يصعب عليهم قال تعالى : (وما أريد أن أشقّ عليك) ، وفي الحديث (لولا أن أشقّ على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة) .

خلاف سرية : أي ما تركت الخروج في سبيل الله مطلقاً بل كنت أخرج في كل غزوة ومع كل جماعة تجاهد في سبيل الله ، والسريّة : الكتيبة من الجيش .

سعةً : المراد لا أجد قدرة ، ولا أجد مالاً يكفي لتجهيزهم للجهاد في سبيل الله .

الأبحاث النحوية :

(إلا جهاد) : إلاّ أداة حصر ، و (جهاد) فاعل مؤخر ليخرجه وروى بالنصب (إلا جهاداً) فيكون مفعولاً لأجله أي لا يخرج إلا من أجل الجهاد في سبيل الله .

(أن ادخله) : أن وما بعدها في تأويل مصدر مفعول به (لضامنٌ) لأن اسم الفاعل يعمل عمل الفعل .

(نائلاً) : حال منصوب وقوله (ما نال) (ما) اسم موصول في محل نصب مفعول به (لنائل) .

(كلم يكلم) : كلم مجرورة بمن وجملة (يكلم) من الفعل ونائب والفاعل في محل جر صفة ليكلم .

(أن يتخلفوا) : أنْ وما بعدها في تأويل مصدر فاعل ليشق أي يشق عليهم تخلفهم عني .

الأبحاث البلاغية :

١ - (تضمن الله لمن خرج في سبيله الخ) جملة خبرية يقصد منها (التشويق وتحريك الهمة) إلى الجهاد في سبيل الله . (لا يخرجه إلاجهاد في سبيلي الخ ..) جملة معترضة لبيان أن الجهاد لا يكون مقبولاً عند الله إلا إذا كان الغرض منه اعلاء كلمة الله .

٢ - (الا جاء كهيئته يوم كلم) فيه تشبيه يسمى (مرسلاً مفصلاً). وقد تقدم معك أمثلته .

٣ - (لونه لون دم) و (ريحه ريح مسك) في كلٍ مــن الجملتين تشبيه يسمي (التشبيه البليغ) وأصله لونه كلون الدم في الصورة ، وريحه كريح المسك في الطيب فحذفت منها اداة الشبه ووجه الشبـه فأصبح تمثيلا بليغاً .

الشرح الأدبي :

بهذه الصورة الرائعة يصوّر الرسول الكريم أجر الغازي والمجاهد في سبيل الله ، ذلك الإنسان الذي ضحّى بنفسه وماله في سبيل رفعة شأن الدين وإعزاز كلمة اللهُ ، وأيُ أجرٍ أعظم بل أية منزلة اسمى من تلك المنزلة الرفيعة التي خصّ الله عز وجل بها المجاهدين في سبيله ؟ حين قال عنهـم (ولا تحسبَن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهـم يُرْزَقُون ، فرحين بما آتاهم الله من فضـله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون) انها الحيـاة الأبدية السرمدية في جنان الخلد ودار النعـيم ، هي بعض ما أكرمهم الله عز وجل به ، عدا ما أعدّ لهم من الذكر الحسن في الدنيـا حيث تخلّد أسماؤهم في سجلّ الخالدين ، فهم أحياء حتى بعد مماتهم ، ذكرهم على كل لسان ، وحبُّهـم في كل قلب ، وهذا هو السرُ في نهينا عن القول في الشهداء بأنهم أموات ، لأن الله عزّ وجل خلّد ذكرهم ، ويكفي ذلك شرفاً وفخراً لهم .. وقد بيّن هذا الحديث النبوي الشريف ان الله عز وجل قد تكفل بالجنّة لمن جاهد في سبيل الله ، مخلصاً عمله لله ، مؤمناً برسله ، مصدّقاً بوعد الله تبارك وتعالى ، وليس هذا الجزاء العظيم الا للمجاهد الذي يبتغي من وراء جهاده إعلاء كلمة الله ، واعزاز شأن الدين ولقد سئل الرسول ﷺ عن الرجــل الذي يقاتل للشهرة ليعرف انه شجاع ، أو يقاتل للمغنم ، أو يقاتل حميّةً لعشيرته فقال كلمته الرائعة المأثورة (من قاتل لتكون كلمةُ اللهِ هي العُليا فهو سبيلِ اللهِ) ..

وقدختم عليه الصلاة والسلام حديثه بالقسم بأنه لولا أن يقع المسلمون في ضيق وحرج ، ولولا المشقة التي ستلحق بالمؤمنين لما تخلّف عن الخروج في غزوة من الغزوات أبداً ، ولكنه لشفقته ﷺ على أمته ترك الخروج في بعض الغزوات ..

ولقد تمنّى صلوات الله وسلامه عليه ان يقتل في سبيل الله ثم تعود اليه الحياة فيجاهد ثم يقتل وهكذا لما يعرف من ثواب الشهادة في سبيل الله .. فأكرمْ به من قائد وزعيم وما أجمل كلمة الأديب التركي المسلم: « إذا لم تحترق أنت ، ولم احترق أنا ، فمن أين يخرج النور ؟؟ » .

اللهم اجعلنا ممن جاهد في سبيلك ابتغاء مرضاتك ، انك سميع مجيب الدعاء ، اللهم آمين .

* * *

« حقيقة الافلاس »

الحديث الثالث والثلاثون :

عَنْ أبي هُرَيْرةَ رضيَ اللهُ عنهُ عن رسُول اللهِ ﷺ انه قَال:

[أتدْرونَ مَنْ الْمفْلِسُ ؟ قالوا : الْمفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ ولا مَتَاعَ ، فقَالَ ﷺ : إنَّ الْمفْلِسَ مِنْ أُمَّتي مَنْ يَاتي يَوْمُ القِيامةِ بِصلاةٍ ، وصِيَامٍ ، وزكاةٍ ، ويأتي وقدْ شتَمَ هذَا ، وقذَفَ هَذَا ، وأكلَ مال هذَا ، وسَفَكَ دَمَ هذا ، وضَرَبَ هذَا ، فيُعْطي هذا مِنْ حسنَاتِهِ وهَذَا مِنْ حسَناتِهِ، فَانْ فَنيَتْ حسنَاتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضي ما عَلَيْهِ أُخِذ مِنْ خطَاياهُمْ فطُرِحتْ عَلَيهِ ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ) .

« رواه مسلم »

الأبحاث العربيـة :

أتدرون من المفلس: يقال : أفلس الرجل إذا فقد ما يملك من مالٍ أو متاع وقد شاع استعمال الإفلاس في النواحي المادية يقال :

ضرب الإفلاس عليه أطنابه ، والرسول ﷺ أشار إلى الإفلاس من الحسنات والافلاس من الخير ، واعتبره هو الافلاس الحقيقي فهناك مفلس من المال ، ومفلس من من الحسنات .

سفك دم هذا : أي أراق دمه وقتله بدون حق وقد جاء في الحديث (لا يحل دم امرىء مسلم إلا باحدى ثلاث) الحديث.

وقذف هذا : أي شتمه ورماه بالفاحشة أي الزنى ، وأصل القذف الرمي بالحصى أو الحجر ، ثم توسع فيه ، فأصبح الرمي باللسان وبالكلام يسمى (قذفاً) تشبيهاً له بمن يرمي الحجارة ، أو الشيء الصلب بيده قال ﷺ : اجتنبوا السبع الموبقات .. وعدّ منها (قذف المحصنات الغافلات المؤمنات) أي رميهنّ بالزنى .

فنيت حسناته : أي نفدت ولم يبق منهـــا شيء والمراد أن الغرماء أصحاب الحقوق أخذوا من حسناته يوم القيامة بدل حقوقهم التي لهم عليه .

يقضي ما عليه : أي يوفي ما عليه من حقوق للناس في ذمته .

طرحت عليه : أي أخذت ذنوب المظلوم فجعلت عـلى الظالم أي في كفة سيئاته . وفي الحديث الشريف (من كانت عنده مَظلمة لأخيه فليتَحلَّلْ منه اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار ..) الحديث

الابحاث البلاغية :

(أتدرون من المفلس ؟) : جمـــلة إنشائية من القسم (الطلبي)

والاستفهام في هذه الجملة جاء (بالهمزة) وهي تدل هنا على التصديق لأنه أريد بها النسبة وقد خرج الاستفهام عن صيغته ومعنـــاه الأصلي (وهو طلب العلم بمجهول) الى غرض آخر وهو (التشويق الى معرفة الشيء) فهذا مثل قوله تعالى : (هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم ؟) استفهام غرضة التشويق .

(المفلس فينا ...) الخ جملة خبرية من النوع (الابتدائي) لعدم وجود المؤكد والغرض منها (فائدة الخبر) .

(إن المفلس من أمتي) جملة خبرية من النوع (الطلبي) لوجود المؤكد وهو (إنّ) والمراد بها (فائدة الخبر) .

(وقد شتم هذا) لفظ (هذا) هنا وفيما بعده (كنايه) عن الشخص المشتوم فهو (كناية عن موصوف) .

(وطرحت عليه) فيه استعارة (تصريحية تبعية) وطريق إجراء هذه الاستعارة أن يقال شبهت الخطايا والسيئات بشيء ثقيل كالحمل الذي تحمله الدابة مثلاً بجامع التعب والمشقة التي تعتري الحامل ثم استعير لفظ (الطرح) للحمل الثقيل واشتق منه (طَرحَ) على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية فكأنّ الذنوب تطرح عن ظهر المظلوم الى ظهر الظالم فتزداد أثقاله وآصاره ثم يطرح في جهنم .

الأبحاث النحوية :

(أتدرون من المفلس) : الهمزة للاستفهام ، و (تدرون) فعل مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل (مَن المفلس) من : اسم استفهام في محل رفع خبر مقدم (والمفلس) مبتدأ مؤخر ، والجملة من المبتدأ والخبر مفعول به لـ (تدرون) وإنما تقدّم الخبر لأنّ أسماء الاستفهام لها الصدارة والأصل (المفلس من هو ؟).

(قالوا : المفلس فينا من لا درهم له) جملة (المفلس فينا) مقول القول وإعراب هذه الجملة ان نقول : (المفلس) مبتدأ و (فينا) جار ومجرور متعلق بالمفلس لأنه اسم فاعل ، (من) اسم موصول بمعنى الذي في محل رفع خبر المفلس (لا درهم) ولا نافية للجنس تعمل عمل إن (درهم) اسمها والجار والمجرور (له) هو الخبر أي لا درهم موجود عنده . (وقد شتم هذا) الواو واو الحال . والجملة في محل نصب على الحال .

الشرح الأدبي :

لم يترك رسول الهدى والرحمة طريقاً من طرق الخير إلا دلّ أمته عليه ، ولم يترك سبيلاً من سُبل الشرّ إلا حذر أمته منه ، فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء ، وفي هذا الحديث النبوي الشريف يلفت الرسول الكريم أنظار الصحابة رضوان الله عليهم إلى أمر عظيم هام ، وإلى ناحية دقيقة ، طالما غفل كثير من الناس عنها ولم يفطنوا لهـا تلك هي تصور مفهوم (الإفلاس) على حقيقته ، فالناس يعتبرون المفلس من لا يملك من المال شيئاً أو من فقد ثروته وماله ، فهـم يحصرون الإفلاس في المادة فحسب ويجعلونه قاصراً على الدرهم والدينار والمتاع ، والرسول عليه الصلاة والسلام ينظر الى الافلاس من زاوية أوسع لأنه يهتم بالحقيقة دون الصورة ، وبالواقع دون المظهر ، فهـو يخاطب أصحابه بأسلوب فيه إثارة إلى البحث والتفكير ، وفيه تنبيه لهم إلى أن يغوصوا إلى أعماق الموضوع لتظهر لهـم الحقيقة ناصعة جليّة ، فليس المال والمتاع بالشيء الخيف ، ولا بالأمر الخطير ، ولكن الإفلاس الحقيقي هو أمور تضيع في الدين ، وفي الأعمال الصالحة ، وفي الحسنات التي تقرّب العبد من ربه وتجعله سعيداً في آخرته ودنياه هذا هو الشيء الخطير .. فكم من أناس ملكوا الدنيا ، وكدّسوا الثروات الضخمة ، وعاشوا في هذه الحياة مترفين ، ولكنهم كانوا تعساء لأنهم

أناس مفلسون ، قد ذهبت حسناتهم ، وتلاشت خيراتهم ، وذهبت إلى أولئك المظلومين الذين اعتدي عليهم ...

وهكذا يمضي عليـــه الصلاة والسلام في بيان حقيقة المفلس الذي ينبغي أن نرثى لحاله فيقول (ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي وقد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ..) الخ أليس هذا مما يدعو إلى الحسرة والاشفاق أن يجمع الإنسان الحسنات ثم يأتي يوم القيامة وقـد ذهبت لخصومه ولم يبق له منهـــا الا سيئات خصومه الذين ظلمهم في الدنيا فتطرح عليه ثم تكون نهايته صقر ..

اللهم جنبّنا السوء والفحشاء واجعلنا من عبادك الصالحين .

* * *

« الجنة تحت ظلال السيوف »

الحديث: الرابع والثلاثون :

عَنْ عبد اللهِ بنِ أبي أوفى رضيَ اللهُ عَنْهُما أنَّ النبيَّ ﷺ قالَ :

(يا أيُّها النَّاسُ لا تَتَمنَّوا لِقاءَ العَدُوِّ ، واسألُوا اللهَ العَافِيَةَ فإذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبرُوا واعلمُوا انَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيوفِ ، ثُمَّ قَالَ النبيُّ ﷺ : اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتابِ ومُجْرِيَ السَّحابِ ، وهَازِمَ الأحزَابِ ، اهزِمْهُمْ وانْصُرنَا عَلَيْهِمْ) .

« رواه الشيخان »

الأبحاث العربية :

لاتتمنّوا لقاءالعدو: أي لا تطلبوا لقاء العدو ولا تشتهوه ، وأصل التمني هو : طلب الشيء المحبوب قال تعالى (ولا تتمنوا ما فضّل الله به بعضكم على بعض) الآية وفي الحديث

الشريف (ليس الايمان بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدّقه العمل) .

اسألوا الله العافية : أي اطلبوا من الله السلامة ، وأصل العافية السلامة من جميع ما يؤذي ويسوء من أمور الدنيا أو الآخرة وقد أوصى النبي ﷺ عمّه العباس أن يطلب العافية من الله وعلّل له ذلك بقوله (سل الله العافية فانك إنْ اعطيتَها فقد أعطيت خيري الدنيا والآخرة) .
« اللهم إنا نسألك العفو والعافية وحسن الختام » .

مجري السحاب : مسيّر السحاب من جهة إلى جهة ومن بلد الى بلد قال تعالى (ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الوَدْق يخرج من خلاله) .

هازم الأحزاب : المراد بالأحزاب هم ائمة الضلال الذين اجتمعوا وتحزّبوا لقتال النبي ﷺ وقد اشتهرت تلك الغزوة باسم (غزوة الاحزاب) قال تعالى (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وما زادهم الا ايماناً وتسليماً) وقد هزمهم الله ونصر عباده المؤمنين ورفع راية الدين وجعل كلمة الذين كفروا السفلى .

الأبحاث البلاغية :

١ — الجنة تحت ظلال السيوف : قال القرطبي : هذا من الكلام النفيس البديع الذي جمع ضروب البلاغة من جزالة اللفظ ، وعذوبته وحسن استعارته ، وشمول المعاني الكثيرة مع الألفاظ الوجيزة بحيث تعجز الفصحاء اللسن والبلغاء المصاقع عن الإتيان بنظيره وشكله فإنه استفيد منه مع

وجازته الحضّ على الجهاد والإخبار عن ثوابه الى ان قال : وهذا كما جاء في الحديث الشريف (الجنة تحت أقدام الأمهات) انتهى .

ففي التعبير استعارة تصريحيّة فالمجاهد في سبيل الله يدخل الجنة بسبب جهاده وصبره على لقاء العدو وضربه بالسيف حتى كأنّ السيوف أصبح لهـــا — من كثرتها — ظلال تظل الضاربين بها .

« في ظلال السيوف جنة ربي والمعالي في رؤوس العوالي »

٢ — منزل الكتاب ، مجري السحاب ، هازم الأحزاب : فيه من علم البديع ما يسمى (بالسجع المرصع) وهو مـــا اتفقت فيه أكثر الفقرات في الوزن والتقفية ، ولا يستحسن السجع إلاّ إذا جاء عفواً .

ترجمة راوي الحديث :

عبدالله بن أبي أوفى الأسلمي ويكنى (أبا ابراهيم) واسم أبيـــه (علقمة بن خالد) وهو من هوازن شهد الحديبية وكان ممن بايع بيعة الرضوان ، نزل الكوفة بعد وفاة رسول الله ﷺ وكان آخر من مات بها من الصحابة سنة ٨٧ هـ وكان قد شهد حنيناً ، روي عنه أنه قال : « غزوت مع النبي ﷺ ست غزوات نأكل فيها الجراد »... وقد توفي بعد أن ذهب بصره ، وقد أصابته ضربة في يده من المشركين روى عن اسماعيل بن ابي خالد أنه قال : [رأيت على ساعد عبدالله بن أبي أوفى ضربة فقلت ما هذه ؟ فقال ضربتها يوم حنين] رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مسكنه ومأواه آمين .

الشرح الادبي :

الجهاد في سبيل الله شعار هذا الدين ، وعز هذه الأمة وحصنها المتين ، فما تركت أمة الجهاد في سبيل الله إلا ذات وهانت ، ولهذا كان الجهاد في شرعة الإسلام فريضة لازمة لا بد منه لنيل العزة ، وكان ذروة أعمال الاسلام

وقد جاء في الحديث الشريف [من مات ولم يغز ولم يحدّث نفسه بغزو مات ميتة جاهلية] والغرض من الجهاد إعلاء كلمة الله ، ونشر المبادىء الانسانية الكريمة التي جاءت بها الشرائع السماوية ، ودفع كيد المعتدين ولهذا امر الله جل ثناؤه بالجهاد وحضّ عليه ووضح الغرض منه فقال عز من قائل [الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً] .

ومع ان الجهاد فريضة مقدسة من اجل إعزاز الدين ورفع منـاره ومع ذلك فقد جاءت السنة النبوية المطهرة تنهى عن تمني لقاء العـدو ، وتأمر بالصبر عند احتدام المعركة ، فالأصل في المسلم أن يطلب السلامة والمعافاة ، وألا يتعرض للبلاء والفتنة ، ولكنه حينما لا يكون منـاص من القتال والحرب فلا بد له من الصبر وعدم الفرار من ساحة الشرف ، ومن ميدان الكفاح والنضال كما أشارت الآية الكريمة وهي قوله تعالى : [يا ايها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون] . وقال تعالى : [يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار ، ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتـال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير] . فلا بد من الصبر عند تعانق السيوف والتحام الصفوف ، ولا بد من توطين النفس على تحمّل المكاره ، فإن الجنةَ لا تنال إلا بالصبر عند الشدائد وبتحمل الأذى في سبيل الله ، والله تعالى قد وضح هذا المعنى بقوله : [أم حسبتمْ ان تدخلُوا الجنةَ ولما يعلم الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين] .

وقد دعا الرسول الكريم بأن ينصره الله على أعداء الدين فقـال : اللهم منزل الكتاب ومجرى السحاب وهـازم الاحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم . فلا بد إذاً من الاستعداد ثم اللجوء الى الله وطلب النصرة منه (ولينصرن الله من ينصره إنّ الله لقويٌ عزيز) .

* * *

مختارات من أحاديث سيد المرسلين

زيارة أهل الصلاح

عن أنسٍ رضي الله عنه أن ابا بكر الصدّيق قال لعمر رضي الله عنهما بعد وفاة رسول الله ﷺ : « انطلق بنا إلى أمّ أيمن (ر) نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلما انتهيا إليها بكت فقالا لها : ما يبكيك ؟ أما تعلمينَ أنّ ما عند الله خير لرسول الله ﷺ ؟ فقالت : إنيّ لا أبكي أني لا أعلم أنّ ما عند الله تعالى خير لرسول الله ﷺ ، ولكن أبكي أنّ الوحيَ قد انقطع من السماء ، فهيّجتْهما على البكاء ، فجعلا يبكيان معها » .

« رواه مسلم »

سماع القرآن الكريم

عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه أنه قال ، قال لي النبي ﷺ : « إقرأ عليّ القرآن ، قلت يا رسول الله : عليك أقرأ ، وعليك نزل ؟ قال : فإني أحبُّ أن أسمعه من غيري ، فقرأت عليه سورة النساء ، حتى جئت إلى هذه الآية (فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ، يومئذ يودُّ الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوّى بهم الأرض ولا يكتمون الله حديثاً) قال : حسبُك الآن فالتفتُّ فاذا عيناه تذرفان » .

« متفق عليه »

البكاء من خشية الله

« عن ابراهيم بن عبد الرحمن بن عوف أنه قال : أتى أبي عبد الرحمن ابن عوف رضي الله عنه بطعام – وكان صائماً – فقال : قتل (مُصْعَبُ ابنُ عُمَيْر) رضي الله عنه وهو خيرٌ مني ، فلم يوجد له ما يكفنُ فيه إلا بردةٌ إنْ غُطّيَ بها رأسه بدت رجلاه ، وإن غُطّي بها رجلاه بدأ رأسه .. ثم بُسط لنا من الدنيا ما بُسط ، قد خشينا أن تكون حسناتنا عجّلت لنا ، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام » .

« رواه البخاري »

الاقتصاد في الطاعة

(عن أبي وهب بن عبدالله رضى الله عنه أنه قال :

« آخى النبي ﷺ بين (سلمان) و (أبي الدرداء) فرأى أم الدرداء متبذلة فقال : ما شأنك ؟ قالت : أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا ، فجاء أبو الدرداء فصنع له طعاماً ، فقال له كلْ فإني صائم ، قال (يعنى سلمان) ما أنا بآكل حتى تأكل ، فأكل رضي الله عنه فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم ، فقال : نمْ ، فنام ، ثمّ ذهب يقوم ، فقال له : نمْ ، فلما كان آخر الليل قال سلمان : قم الآن ، فصليا جميعاً ، فقال له سلمان : « إنّ لربك عليك حقاً ، وإنّ لنفسك عليك حقاً ، وإنّ لأهلك عليك حقاً ، فأعط كلّ ذي حقٍ حقه » فأتى أبو الدرداء إلى النبي ﷺ فذكر ذلك له ، فقال النبي ﷺ صدق سلمان).

« متبذّلة : أي تلبس ثياباً بالية التي لا تلبسها عادة المرأة المتزوجة » .

« رواه البخاري »

الاسلام دين اليسر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال :

[إن هذا الدين يسر ، ولن يشادّ الدينَ أحدٌ الا غلبه ، فسدّدوا وقاربوا ، وأبشروا واستعينوا بالغَدوةِ والرَّوحةِ ، وشيءٍ من الدُّلجة] .

« رواه البخاري »

(الغدوة) : السير من أول النهار ، (الروحه) : السير من آخر النهار ، (الدلجة) آخر الليل ، وهذا الحديث فيه مجاز وتمثيل معناه استعينوا على طاعة الله عز وجل بالأعمال الصالحة والعبادات التي تقربكم من الله في وقت نشاطكم وفراغ قلوبكم بحيث تستلذّون بالعبادة ولا تسأمونها وتبلغون مقصودكم ، كما أن المسافر الحاذق يسير في هذه الأوقات ويستريح هو ودابته في غيرها فيصل المقصود من غير تعبٍ ولا نصبٍ ، فعليكم بطاعة الله في وقت النشاط بدون تشديد على النفس ولا إرهاق لها . ـ انظر كتاب دليل الفالحين » .

الدعوة إلى الله

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

[مَنْ دعا إلى هدى كان له من الأجر مثلُ أجور مَنْ تبعه ، لا ينقص ذلكَ من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة ، كان عليه من الإثم مثل آثام مَن تبعه ، لا ينقص ذلكَ من آثامهم شيئاً] .

« رواه مسلم »

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

عن ابن مسعود رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال :

[لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وواكلوهم وشاربوهم ، فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داودَ وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ، فجلس رسول الله ﷺ وكان متكئاً ثم قال : لا ، والذي نفسي بيده حتى تأطروهم على الحقّ أطراً] .

معنى تأطروهم : أي تحملوهم وتجبروهم على قبول الحق والإذعان له جبراً .

ردع الظالم

عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال :

[يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية الكريمة (يا أيها الذين آمنوا عليكمْ أنفسَكُم لا يضرُّكم من ضلّ إذا اهتديتم) وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« انّ الناس إذارأوا الظّالم فلم يأخذوا على يديه أوشكَ أن يعمّهم الله بعقابٍ منه » .

« رواه أبو داود النسائي والترمذي »

معنى الحديث الشريف ان الناسّ يخطئون في فهم هذه الآية الكريمة ويظنون انّ الإنسان لا يسأل عن عمل غيره وأنه لا يضرُّه كفر الكافرين ولا (معصية) العاصين ، مع أن الناس اذا تركوا واجب (النصح والإرشاد) وتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، استحقوا العذاب لأنهم قصروا في واجبهم فلا ينبغي للمسلم أن يتهاون في النصح والتذكير .

الاصلاح بين الناس

[عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ بلغه أنّ بني عمر وبني عوف كان بينهم شرٌّ ، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في أناس معه ، فجلس رسول الله ﷺ وحانت الصلاة فجاء بلال إلى أبي بكر رضي الله عنهما فقال : يا أبا بكر ، إن رسول الله ﷺ قد حُبس وحانت الصلاة ، فهل لك أن تؤم الناس ؟ قال : نعم إن شئت ، فأقام بلال الصلاة وتقدّم (أبو بكر) فكبّر وكبّر الناس وجاء رسول الله ﷺ يمشي في الصفوف حتى قام في الصف ، فأخذ الناس في التصفيق وكان أبو بكر رضي الله عنه لا يلتفت في الصلاة فلما أكثر الناس التصفيق التفت فإذا رسول الله ﷺ ، فأشار إليه رسول الله ﷺ فرفع أبو بكر يده فحمد الله ورجع القهقرى وراءه ، حتى قام في الصف فتقدم رسول الله ﷺ فصلى للناس ، فلما فرغ أقبل على الناس فقال : « أيها الناسُ مالكم حين نابكم شيء في الصلاة أخذتم في التصفيق ؟ إنما التصفيق للنساء ، من نابه شيء في صلاته فليقل : سبحان الله ، فإنه لا يسمعه أحد حين يقول سبحان الله إلا التفت ، يا أبا بكر ما منعك أن تصلي بالناس حين أشرت اليك ؟ فقال أبو بكر : ما كان ينبغي لابن أبي قحافةَ أن يصلي بالناس بين يدي رسول الله ﷺ] .

قوله حُبس : أي أمسكوه ليضيفوه . (نابه شيء) : أي أصابه شيء . (أبو قحافة) هو والد ابي بكر الصدّيق.

قوله التفت : أي برأسه لا بصدره فإنّ الالتفات بالصدر يبطل الصلاة لأنه لا يصير متجهاً الى القبلة .

ظلمة القبور

[عن أبي هريرة رضي عنه أن امرأة سوداء كانت تقمُّ المسجدَ ففقدها رسول الله ﷺ فسأل عنها فقالوا : ماتت ، فقال : أفلا كنتم آذنتموني بها ، فكأنهم صغّروا أمرها فقال : دلوني على قبرها ، فدلوه فصلى عليها ثم قال : إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها ، وإنّ الله تعالى ينوّرها لهم بصلاتي عليهم] (متفق عليه)

(تقمّ) تكنس وتنظّف ، (آذنتموني) أخبرتموني واعلمتموني (بصلاتي عليهم) : بدعائي لهم .

« من جوامع الكلم »

- نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس : الصحة ، والفراغ .
- إنّ مما أدرك الناس من كلام النبـــوة الأولى : إذا لم تستح فاصنع ما شئت .
- اتق الله حيثما كنت ، وأَتبعِ السيئة الحسنة تمحها ، وخالق الناس بخلق حسن .
- من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .
- البر لا يبلى ، والذنب لا ينسى ، والديَّان لا يموت ، اعمل ما شئت كما تدين تدان .
- ليس الايمان بالتمني ، ولكن ما وقر في القلب وصدَّقه العمل .
- الناس معادن ، كمعادن الذهب والفضة فخيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام إذا فَقُهوا .
- المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضاً .
- خـــيركم من طال عمره وحسن عمله ، وشرُّكم من طال عمره وساء عمله .
- ألا أدلكم على خير مـا يكنز المرء ، المرأة الصالحة : إذا نظر إليها سرّته ، وإذا أمرها أطاعته ، وإذا غاب عنها حفظته في ماله وعرضه .

الفهرس

